سيدة سوريا

شهرية مستقلة تعنى بالمرأة السورية
تصدر عن المركز السوري للصحافة والنشر

كانون أول ٢٠١٤ / العدد (١٠)

الصورة النمطية للمرأة في المجتمع وانعكاساتها في الإعلام النسائي

سقف طموحاتها داخل جدران المنزل
المرأة في الإعلام العربي

تحقيق:
– من لم يمت بالكيماوي مات بغيره
أمراض وأوبئة في الغوطة الشرقية المحاصرة
– النساء في ظل تنظيم الدولة.. حرية معدومة وتطبيق أعرج للشرع

لقاء صبا الحكيم
رغم كل تضحياتها
ما زالت المرأة تعاني الاستلاب السياسي في الثورة السورية

الغلاف: تصوير مصطفى سلطان

العناوين:

افتتاحية

من لم يمت بالكيماوي مات بغيره
أمراض وأوبئة في الغوطة الشرقية المحاصرة
• تحقيق: نور مارتيني

أفلامنا أمام المرآة
• بسمة شيخو

المرأة في الأبحاث والدراسات
• صبحي فرنجية

السيداو

صبا الحكيم
ما زالت المرأة تعاني الاستلاب السياسي في الثورة السورية
• حاورتها سيدة سوريا

تاريخ الحركات النسوية عود على بدء
• رهف موسى

المساواة بين الجنسين
الصورة النمطية للمرأة في المجتمع/ الجزء الأول
• ترجمة: د. إنعام شرف

مكتومو القيد
كيانات على ذمة الاعتراف بها
• خوشمان قادو

النساء في ظل تنظيم الدولة
حرية معدومة وتطبيق أعرج للشرع
• جلال زين الدين

أفكار تمهيدية حول تحرر المرأة عن الوجه الطيب للحرية
• ضحى عاشور

لباس المرأة المسلمة ما بين الفرض السياسي والزي التقليدي والرمز الديني
• سحر حويجة

ما حك جلدك مثل ظفرك
المرأة في الإعلام العربي.. سقف طموحاتها داخل جدران المنزل
• نجاح سفر

ثورة على القوانين والتشريعات التقليدية
• ملك قاسم

سيمون دو بوفوار
رائدة حركات التحرر والدفاع عن حقوق المرأة
• فريق تحرير سيدة سوريا

صحة جنسية
• د. راميا مستو

ازدياد انتشار مرض التيفوئيد خلال الأزمة السورية
• هادية الخطيب

«الجحيم ليس بعيداً أبداً»
المسعفة التي تخاطر بحياتها من أجل حلب
• فريق ترجمة سيدة سوريا

سيرة قتال وحياة المرأة الكردية
• ريدي مشو

تسالي

المرأة والعمل النقابي ضرورة لصيانة الحقوق وتحسين الأداء
• وجيهة عبد الرحمن

كيف ندعم قطاع الدعم النفسي؟
• أميرة الجركس

المهرّبين والـ«لا مَهرَب»
• وجدان ناصيف

شطرنج
• جورجيت حنا

هنـاء إدور
• فريق تحرير سيدة سوريا

هذا الرحيل أثقل من رضوى
• سامر مختار

أدب:
– أحدث صديقتي الجالسة بجواري الآن
• لونا العبد الله
• أيمن سليمان
– هذا بياضك
– فرح

في المكان الهادئ
• علي الأعرج

الصفحة الأخيرة عملان للتشكيلية رلى حمزة

سيدة سوريا

رئيس التحرير:
محمد ملّاك

مدير التحرير:
ياسمين مرعي

مدير علاقات عامة وترجمة:
د. إنعام شرف

سكرتير تحرير:
مراد عيد

الإيميل:
saiedetsuria@gmail.com

الفيس بوك:
www.facebook.com/saiedetsouria

المكتب الرئيسي:
تركيا - غازي عينتاب
ت:٠٠٩٠٥٥٣٣٦٧٩٥٢٨
٠٠٩٠٥٤٣٥٣٢٢٩٧١
٠٠٩٠٥٣٤٧٣٦٢٤٥٨

السعر خارج سوريا: (٥) يورو
توزع مجاناً داخل الأراضي السورية

للكلام بقية

كاريكتارات على هامش إقصاء النساء

بين الكثيرين الذين رشحوا أنفسهم لمنصب رئاسة الوزراء في الحكومة السورية المؤقتة، قُبِل ثلاثة عشر اسماً، هم (أحمد طعمة، إياد قدسي، محمد ياسين نجار، وليد الزعبي، محمد رحال، صفاء زرزور، علي بدران، عبد الرحمن ددم، عبدو حسام الدين، غسان هيتو، هاني خباز، وامرأتان هما لمياء نحاس وصبا حكيم). وبعد اجتماع عبَر الكثير من العقبات والمعضلات والخلافات والانسحابات، تم التصويت لصالح الدكتور أحمد طعمة، بثلاثة وستين صوتاً، بين خمسة وستين ممن صوّتوا، تبعَ ذلك تقديم «طعمة» أعضاء حكومته المقترحين من أجل التصويت، فصوّت لمحمد وجيه جمعة وزيراً للصحة، حسين بكر لوزارة الإدارة المحلية واللاجئين، إبراهيم ميرو للاقتصاد والمالية، قيس الشيخ لوزراة العدل، محمد ياسين نجار للاتصالات والنقل والصناعة، الياس وردة وزيراً للطاقة، عوض العلي لوزارة الداخلية، وللدفاع سليم إدريس.

وكان الدكتور أحمد طعمة رشح اسم الدكتورة «تغريد الحجلي» وزيرة الثقافة في الحكومة السابقة، لشغل وزارتها من جديد، لكن أصوات الهيئة العامة لم تشأ أن تبقي على وزارة المرأة الوحيدة في التشكيلة القديمة، وهكذا ألغيت وزارة الثقافة برمتها من التشكيلة الوزارية الجديدة. لن يفوتنا هنا أن نبين كم الصراعات والإعاقات والتنافس الذي لا يأبه لشيء، إلا لصوت الكتلة والمصلحة والذات، فقد أصدر حينها «هادي البحرة» رئيس الائتلاف بياناً يلغي فيه كل القرارات التي أقرّها أعضاء الهيئة العامة في الفترة السابقة، بما فيها التصويت على أعضاء حكومة «طعمة»، قبل أن تلغي اللجنة القانونية في الائتلاف، قرار «البحرة»، وتثبت قرار الهيئة العامة.

المعارضة السورية اليوم بعد اعتراض شديد متكرر دام شهوراً حول ضآلة نسبة تمثيل النساء فيها، التي تكاد تكون معدومة في المجالس المحلية، ولا تزيد عن أربعة بالمئة في الائتلاف الوطني، والذي يجب أن يكون واجهةً سياسيةً، وعنواناً للحالة الحضارية التي تعكسها المعارضة مقابل نظام آل الأسد المتخلف المجرم، تخرج علينا هذه المعارضة بحكومة لا تحوي أية امرأة، ولا تتضمن وزارة للثقافة.

في الوضع السوري حيث يعيش النظام والمعارضة على الهبات والمنح حد التحكم بالقرار، لا بد أن نذكر أن وزارة الثقافة، التي تهتم بملف الآثار والفن والفنانين والأدباء، وضمت حسب التصنيف السابق المرأة وشؤون الأسرة، هي وزارة يجب أن تجلب المال للحكومة، والدعم لمشاريعها دون أن تكون عبئاً كبقية الوزارات، ونحسبها هنا كإحدى منظمات المجتمع المدني، والتي صغرت أو كبرت تجد لمشاريعها تمويلاً، ويبقى عملها قائماً.

وفي الواقع الذي نعيشه اليوم، من تشتت القلة القليلة الباقية من ليبرالية، لحساب تعاظم دور التطرف والميليشيات من كل الأطراف، لا فرق فيها بين تطرف سني أو شيعي، واقع أن ملايين السوريين أُبعدوا عن وسائل عيشهم، أرضاً ومهناً وتجارةً، وباتوا ينتظرون قوتهم من تفضّل وعطف ومساعدة الآخرين. وفيما لا يكف الرجّال عن قتل بعضهم بكل أسلحة متاحة داخل سوريا، يُناط برجال آخرين في الخارج، أن يهتموا بالمرأة والأسرة السورية، وكلما عنّت لأحدهم فكرة تمكين النساء، أو تعرف على المصطلح «حديثاً ربما»، بحث لهن عن عمل وقوت في الحياكة وخدمة المنازل، غسل الثياب، فرم الخضار وتحضير الطعام، ربما لعائلات رجال عادوا من عمل مضنٍ في تخطيط شؤون الثورة، وإدارة مرافقها، هذا العمل الذي لم يقدنا حتى اليوم، إلا إلى مزيد من الخسارات والشهداء في ظل خلافات الرجال، وصراع بل «تناطح الكباش» على المصالح، وهاجس السكن في رحم التاريخ، دون مراعاة لنوع هذا الحضور وما إذا سيكون فضائحياً حتى الخزي.

تتراجع فرص حضور المرأة في الثورة السورية اليوم بفعل عدة أسباب، منها:

– التضييق عليها من قبل ذكور المعارضة وشيوخها (بالمعنيين الاجتماعي والفيزيولوجي) وتفردهم بكل الرؤية العتيقة التي جاؤوا بها، بنظرتهم الأبوية المقيتة، والتي ورثوها من مصطلح الأب القائد، مضافة إلى الضعف الذي شبوا وشابوا عليه. كبارُ سن، انتقاماً من التهميش، وربما من القمع الذي مارسه نظام آل الأسد عليهم، تراهم وقد هربوا ليرتموا في أحضان كل أحد يمكن أن يمثل خطوة للخلاص من آل الأسدً، متجاوزين الخطوط الحمراء للإيديولوجيات، والصراع الطبقي، بل وحدود الشرعة الدولية، يظهر ذلك في قبلات «ميشيل كيلو» (في رحاب الجزيرة السورية) العام الماضي، ويظهر في عدم قلق «جورج صبرا» من «جبهة النصرة» على مدينة محردة وكنائسها، ويظهر في القبول العجيب لـ «حسن عبد العظيم» و«قدري جميل» و«علي حيدر»، لنظام بشار الأسد، ويظهر أيضاً في تناقض مواقف الكثيرين منهم، والتي لا تحيل إلا إلى الحيرة والتخبط. لكنهم بعد ذلك، كلما رأوا اسم أقليةٍ أو مكونٍ، أو خصوصية، أو لغة لآخرين، أو حق الشباب، وحق النساء، نفروا وخربوا وتكتلوا، رغم خلافاتهم ليبقوا وقد سدوا أفق الأمل لثوار سوريا وشبابها.

نشاهدهم وهم يعيدون ويجترون كلاماً سمعناه، رؤية لا تتغير مهما تغير الظرف، بعيدين عن الواقع والأرض، ورؤيا الناس درجة الغربة، نشاهدهم أمثلةً عن ذاكرةٍ تقادمت بها السنوات، يجترون ما فعلوا، ما سمعوا، وما عاشوا من ذل، مواقف جامدة وخطاب بكّاءٌ مذهولٌ محمولٌ على الإسناد، وإن اعتمد بدل النصوص الدينية، رموزاً وقامات صدرتها المرحلة السابقة، لا تختلف عن حافظ الأسد وأشباهه من المستحاثات كثيراً، في عقم الأيديولوجيا وخشبيّة الخطاب.

وسبب من حضور الواجهات النسائية المكرسة، والذي يبدو أقسى على المرأة من مضطهديها كافة، الفرص والضيق والغربة وخطط الكبار، نصادفهن في أكثر من موقع، مكرساتٍ، انتهازيات استندن على أصوات «شبيحات» لهن، أو تابعاتٍ، أجيراتٍ، كسرهن الذل من جهة، وأحلام الوصول الذي لا يراعي قيماً ولا مُثلاً من جهةٍ أخرى، وقد فاتهن جميعاً أنهن بقبول مهنة التسلق، يهدمن بلداً، ويدمرن كل جهد بذله السوريون.

وسبب آخر من أَنَفَة النساء الفاعلات حقيقةً، الكوادر الحقيقية للعمل الثقافي والاجتماعي والإنساني، صاحبات الاختصاص من نساء سوريا وشاباتها، نراهن، صاحبات الخبرات والشهادات والدرجات الأكاديمية العالية، متكلمات اللغات الأجنبية بطلاقة العربية، اللاتي نراهن في مفاصل العمل الثوري على الأرض، في العمل الإنساني، في الصلات مع المنظمات الدولية، في الصحافة إعلاميات يخاطرن بحياتهن، وعارفات يعلمن ويطورن، وهن يؤدين أفضل الآداء، ترفعن عن الانهماك بهذا المشهد السياسي المخجل.

الآن، وكلما نظرنا إلى هذا الكم من التدهور والانحدار، أحسسنا بضرورة دعوتكن أنتن، أيتها المنكفآت حزناً، ترفعاً وقرفاً ربما، ندعوكن لتعدّلن ميزان القوى، لتردمن هذه الهوة من التخلف والانتهازية والذكورية، لتنقذن هذه الثورة من نقصها وعرجها، وإلا لن تصل بنا إلى مكان.

رئيس التحرير

من لم يمت بالكيماوي مات بغيره

أمراض وأوبئة في الغوطة الشرقية المحاصرة
وعجز الطواقم الطبية عن تلبية متطلبات مرضاهم

• تحقيق: نور مارتيني

منذ بداية الثورة، عمد النظام إلى التملّص من مسؤولياته تجاه معظم المدن والبلدات المعارضة له، على امتداد الأرض السورية، تاركاً إياها للفوضى، ما أدى إلى غياب الخدمات في هذه المدن والبلدات لعدة أسباب، ليس أولها عجز القائمين على هذه المرافق الخدمية عن الإيفاء بالتزاماتهم، سواء بسبب عدم توافر مستلزمات عملهم أو خوفاً على حياتهم، ذلك أنهم باتوا مستهدفين من كلتا الجهتين، النظام عن طريق القنص، والمعارضة، حيث كانوا يختطفون بحجة أنهم يعملون مع أجهزة النظام، والنتيجة غياب كامل للخدمات عن هذه القرى والبلدات.

هذا الغياب للخدمات العامة، ولّد حاجة ملحة إلى وجود من يسد هذه الثغرة، فنشأت فكرة المجالس المحلية، والتي كان أوج نشاطها خلال العام الثاني من الثورة، خاصة أن معظم المدن والبلدات كانت تشهد حراكاً مدنياً وسلمياً، ما أفرز حالة دعم لهذا النوع من النشاط المدني الذي تقوم به المجالس المحلية، والتي استطاعت في مرحلة ما أن تكون بديلاً حقيقياً لمؤسسات النظام، غير أن توضّح ملامح العسكرة في سائر البلاد قوّض أركان هذه المجالس، التي بات قرارها مرتهناً في معظم الأحيان للفصيل العسكري الذي يسيطر على مناطقها، وهنا عادت حالة الخدمات لتتدهور، وتصبح أسوأ من السابق بكثير.

مع كل هذه المصاعب، كانت المجالس المحلية، بمكاتبها الخدمية متعددة الاختصاصات، قادرة على الحد من خطر الجائحات المرضية على سبيل المثال، أو منع تراكم القمامة في الشوارع، أو حتى تأمين الحد الأدنى من خدمات المياه والكهرباء، الكفيلة بخلق ظروف حياة مقبولة، إلى أن قام النظام بفرض سياسة الحصار على بعض المناطق، بغية تركيعها، ما جعل هذه المجالس عاجزة تماماً عن التعامل مع كل هذه القضايا، وكان أمام الناس هنا أحد الخيارين: أن يغادروا هذه المناطق لاستحالة الحياة فيها ضمن هذه الظروف، أو يواجهوا الموت والفقر والجوع والحرمان، غير أن كلّ هذه الأشياء تبقى بسيطة أمام الجائحات المرضية، مع انعدام الأدوية ووسائل الوقاية.

في عددها العاشر، تطرح «سيدة سوريا» مسألة الجائحات المرضية في الغوطة الشرقية المحاصرة، تلك الجائحات التي جاءت نتيجة طبيعية لغياب الخدمات، ما أدى إلى ظهور أمراض كانت قد شارفت على الانقراض في بعض الأحيان، لتعود للظهور في سوريا. لم يكن «شلل الأطفال» أول هذه الأمراض، ولن يكون آخرها «النغف» في ظل هذه الظروف!

بعد «شلل الأطفال».. «النغف» إلى الواجهة من جديد

عادت بعض الأمراض المنقرضة لتظهر في سوريا، بعد أن كانت قد تخلّصت منها تماماً، من بين هذه الأمراض، مرض شلل الأطفال الذي بدأ يظهر في مدينة دير الزور خلال العام المنصرم، رغم أن سوريا كانت قد أعلنت أنها تخلّصت من المرض بشكل نهائي عام 1995، والسبب في عودته هو توقف عملية التلقيح ضد المرض.

في غوطة دمشق، ونتيجة الحصار الخانق الذي تشهده، وتوقف المرافق الخدمية عن ممارسة أعمالها، ما أدى إلى انتشار أكوام القمامة مع عدم إمكانية ترحيلها لمكان آخر، ظهر مرض يدعى «النغف»، بعد أن كان في طور الانقراض، في معظم أنحاء العالم. وتتمثل أعراضه في الإنسان بقروح جلدية شديدة الحكة، تتطور إلى ما يشبه الدمل، ويكون شديد الألم ويُخرج إفرازات صديدية. وعند إصابة الجهاز الهضمي فإن أعراضه، وحسب الأطباء، هي ألم بالبطن، وقيء وإسهال، وأحياناً لا تظهر أيّة أعراض، مشيرين إلى أنّه غالباً ما تصدر مخلفات اليرقات رائحة نتنة ومزعجة.

أما أماكن الإصابة فهي، وحسب الأطباء، الجهاز الهضمي، الجلد، العين، الأذن، البلعوم، الجهاز البولي والتناسلي وأماكن الجروح، ويتم علاج المرض بإجبار الدودة على الخروج إلى سطح الجلد عن طريق منع الهواء من الوصول إليها.

عن تشخيص المرض يقول الطبيب «ماجد أبو علي»، والذي يعمل في المكتب الطبي في الغوطة الشرقية: «تشخيص المرض بسيط، ولا يتواجد اشتباه دون اكتشاف، لكن بداية كان المرض جديداً على معظم الكوادر الطبية، والأعراض الأولية تكون عبارة عن حكة، لهذا كان يتمّ تشخيصه في مراحله الأولى على أنه أحد الأمراض الجلدية، ولكن في المراحل المتقدمة يصبح واضحاً جداً، وبعد ظهور الحالات الثلاث الأولى، أصبح يشتبه في كل حالة حكة جلدية، وبالذات «التالية لجروح».

عن عدد الحالات الموثقة، يقول الدكتور «ماجد»: «توجد عشر حالات حتى الآن، ولكن لا يوجد اشتباه دون تأكيد أو نفي، وهم موزعون على قرى وبلدات الغوطة الشرقية» مؤكداً أن «هذه الحالات من شهادة عدة عيادات ونقاط طبية، وقد أشار أحد الأطباء أن مريضه يقطن بالقرب من مكبّ للقمامة، كما أشار أحد المرضين إلى ظهور عدة حالات نتيجة اضطرار الكادر لتخريج بعض الجرحى باكراً، وعدم تلقي المريض العناية اللازمة في المنزل».

ويرى الدكتور ماجد أن «معالجة المرض سهلة، وأنّ علاج المرض وتشخيصه ليس معقداً، وأنه قلّما يشكل خطراً على الحياة، ولكن الفكرة أنه يعتبر دليلاً صارخاً على انخفاض السوية الصحية للمجتمع»، وهذه المعالجة تتلخص بـ«تغطية المنطقة المصابة بالفازلين لتخرج الديدان إلى خارج مكامنها ومن ثم نزعها بهدوء بواسطة ملقط جراحي، أو تخدير موضعي، ونزع الديدان مباشرة، وتنظيف الجرح، ومتابعته، وإعطاء صادّات حيوية».

أما العوامل المسببة للمرض، فهي بحسب الدكتور ماجد «إجمالاً الذباب، وهناك ذبابة تدعى الذبابة الحلزونية تعتبر مسبباً رئيسياً، ولكن من الممكن أن تنقل بيوض الذبابة نفسها بواسطة البعوض أو المياه الملوثة».

المركز الطبي الموحد في الغوطة.. من قلب الحدث

يعاني العاملون في الحقل الطبي في الغوطة المحاصرة معاناة شديدة ضمن ظروف عملهم، في منطقة تكاد تنعدم فيها مقوّمات الحياة وليس العمل فقط، ومع ذلك فهم يحاولون بذل قصارى جهدهم لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.

المركز الطبي الموحّد في الغوطة الشرقية، ومن خلال عياداته الطبية المتوزعة في مختلف مدن وقرى البلدات يعاني من نقص كبير في التجهيزات والمعدات، فضلاً عن معاناتهم من نقص الماء وانعدام الكهرباء، والوقود، وكافة وسائل التدفئة والنظافة، وحتى المواصلات. غير أن الكارثة الكبرى تكمن في الزيادة الكبيرة في أعداد المرضى، ممن يعجزون في بعض الأحيان عن تزويدهم بالعلاج اللازم، أو من ظهور أمراض يصعب تشخيصها في بعض الأحيان لندرتها.

عن أهم الأمراض التي يواجهها المكتب الطبي، يقول أحد الأطباء العاملين فيه: «نعاني كثيراً من الأمراض الوبائية، ومن عودة انتشارها بسبب وجود بيئة ملائمة، مثل النغف، الحصبة، الجدري، التيفوئيد والحمى المالطية، إضافة للأمراض الجلدية المنتشرة بكثرة مثل الأكتيميا، القمل، الجرب، القوباء، الدمامل، والأخماج الفطرية بكافة أنواعها، لكن الأخطر هو مرض السل (التدرن) والذي يعد كارثة حقيقية، لأنه معدٍ بشدة». ويؤكّد الطبيب نفسه على وجود الظروف الملائمة لانتشار مرض السل، كالتلوث البيئي وعدم توفر مياه صالحة للشرب، فضلاً عن ضعف المناعة لدى الكثيرين، وقلة الوعي في معرفة طرق العدوى، كاللمس المباشر مثلاً، والسكن في الأقبية، وفي الأجواء الرطبة.

وبحسب هذا الطبيب، فإنه يضاف إلى ذلك «ازدياد حالات السرطان بنسبة كبيرة، وخاصة أورام الثدي، الرحم، المبيض والبروستات، ويلعب التغير الهرموني دوراً كبيراً في زيادة هذه الأورام»، مشيراً إلى أن الأطباء لاحظوا ازدياد المشاكل الهرمونية نتيجة سوء التغذية وتغير طبيعة العمل، القيام بأعمال مجهدة عضلياً، التوتر النفسي والأرق، إضافة لأمراض الدم مثل اللوكيميات واللمفومات، والتي يلعب العامل النفسي الدور الأكبر في انتشارها، إضافة إلى التلوث الكيميائي والإشعاع.

ويرى أعضاء المكتب الطبي الموحد أن البعض يحمّل أفراد الكادر الطبي ما يفوق طاقتهم، فيؤكّدون على أنه يجب «ألا نحمّل المؤسسات الطبية كل أعباء الحد من انتشار الأمراض الوبائية، وإنما تقع على عاتق المجالس المحلية مسؤولية النظافة العامة، كـرش المبيدات الحشرية، والمبيدات الخاصة بالقوارض في حال توفرها ضمن الظروف الحالية، وترحيل الحيوانات النافقة ودفنها بعيداً عن المناطق السكنية، وتأمين مياه صالحة للشرب لكل التجمعات السكنية»، مؤكّدين أنهم يحاولون قدر الإمكان «نشر الوعي بين الناس حول النظافة الشخصية، للحد من انتشار هذه الأمراض، لكن المنظفات والمعقمات والأدوية غير متوفرة، وخاصة في بعض مناطق الواقعة على أطراف الغوطة، ونتمنى ألا يتفاقم الوضع أكثر من ذلك».

وعما إذا كانت الضربة الكيماوية في شهر آب من عام 2013، قد أسهمت بشكل ما في انتشار هذه الأمراض التي تتخذ طابعاً

وبائياً في بعض الأحيان، يقول أحد أطباء المركز الطبي الموحد: «إن نسبة الإصابة بمرض السرطان قد ارتفعت، وخاصة أورام الثدي والرحم والمبيض والبروستات، إضافة لأمراض الدم مثل اللوكيميات واللمفومات، ويمكن أن يكون السلاح الكيماوي سبباً رئيساً، ويمكن كذلك أن يكون النظام قد استخدم الأسلحة البيولوجية أو أخرى إشعاعية مجهولة، كذلك مخلفات الأسلحة والدخان المتصاعد، والتعرض له بشكل كبير واستحصال محروقات نتيجة حرق بعض المواد البلاستيكية، وما تخلفه من تلوث بيئي، كلها أسباب للإصابة بهذه الأمراض».

ذوي المرضى المحاصرين.. وجع على وجع

عن إصابة ابنته هبة «6 سنوات» بمرض النغف، يقول والد الطفلة: «لاحظنا أعراضاً غريبة على الطفلة، متمثلة بحكة وصداع شديدين، ومن ثم ظهور وذمة في وجهها، راجعنا إحدى النقاط الطبية في منطقتنا، لكن لقلة الاختصاصات تأخرنا في التشخيص والعلاج، إلى أن راجعنا مركز دار الرحمة».

غير أن التوصّل إلى التشخيص كان يشكّل جزئية بسيطة، خاصة وأن المرض لا يشكّل خطورة على حياة مرضاه، ولكن المشكلة الأكبر تكمن في تأمين العلاج، حيث لجأ ذوو الطفلة هبة في البداية وبعد استشارة الطبيبة إلى «الماء المغلي مع الملح للتعقيم، إلى أن وفرت إحدى الجهات الدواء والمعقمات اللازمة، لكن هذه المعقمات هي جزء من الحل في ظل وجود تلال القمامة المنتشرة في المنطقة»، مشيراً إلى أن ابنته المريضة الآن في «وضع صحيّ جيد، وفي تحسّن تام بعد تلقيها العلاج، حيث احتاجت إلى قرابة 15 يوم حتى تعافت بشكل تام من المرض».

ويؤكّد والد الطفلة أنه «في ظل الحصار، ولولا مساعدة الاختصاصيين في المركز، ومساعدة بعض الجهات الأهلية، لما تمكنا من معالجة مريضتنا ولما تماثلت للشفاء».

تبقى أوضاع الأهالي المحاصرين في الغوطة، دليلاً واضحاً على حجم المعاناة السورية ككل، حيث إن المكتب الطبي الموحد قد ذكر في إحصائية له أنهم سجلوا ثلاث إصابات بمرض النغف في مركزهم، وأن لا إحصائيات لديهم عن باقي المراكز، غير أنه لا توجد وفيات نتيجة هذا المرض. أما بالنسبة لمرض السل، فقد وصل عدد الحالات المسجلة لديهم إلى 100 حالة، والتخوف من حالات مصابة وغير مشخصة. إلا أنه حتى اللحظة لم تسجّل أية وفيات نتيجة مرض السل، فيما سجلت 400 إصابة بمرض السرطان، بين مرضى أورام صلبة وأمراض دم، مشيرين إلى أنه هناك 25 حالة وفاة، فضلاً عن بعض الحالات التي انقطعت عن العلاج، وهي مجهولة المصير.

كما تشير الإحصائيات إلى أن أكثر الفئات عرضة للإصابة هي النساء، ومن ثم الأطفال، ليأتي الرجال في الدرجة الثالثة، وأن الوفيات في جميع الصفوف.

من الضروري الإشارة إلى أن معظم جهود الإغاثة تتركز على اللاجئين في المخيمات، غير أن النازحين داخل سوريا أيضاً بحاجة لتسليط الضوء على معاناتهم، وهم بحاجة إلى مدّ يد العون لهم، خاصة إذا كانوا يقيمون في مناطق محاصرة، لا سبيل فيها إلى وصول أي نوع من الإغاثة الطبية، فضلاً عن انخفاض سوية تغذيتهم، ومستوى الخدمات المقدّمة لهم، ما يجعلهم طريدة سهلة للأمراض والأوبئة.

أفلامنا أمام المرآة

• بسمة شيخو

منذ فترةٍ ليست ببعيدة تمنيت لو أنّني كنت أسكن في إحدى قرى تشيلي في أوائل القرن الماضي، تلك الأمنية لم تولد عبثاً، بل كانت بعد أن قرأتُ عن مهنةٍ غريبةٍ وممتعة في آنٍ معاً، كانت منتشرةً في بعضِ القرى التشيلية الفقيرة، في مناطق مناجم ملح البارود، تُدعى «رواية الأفلام» والتي كانت محور رواية للكاتب «إيرنان ريبيرا لتيلير» بعنوان «راوية الأفلام»، تحكي عن حياة فتاة صغيرة في بيت من دون أبواب، تهرول النقود خارجه كحصانٍ جامح، فيحاول أصحاب البيت اللحاق بها زحفاً على البطون، يفشلون طبعاً، فيحلبون بعض النقود من جيوبهم ليجمعوا ثمن تذكرةٍ يتيمة للسينما، شغف الأيام الجميلة، ويجلسون منتظرين منها (السينما) أن تأتي إليهم معبَّأةً في جيوب ابنتهم الموهوبة «ماريا مارغريتا» مندوبتهم لصالة السينما، تعود إليهم متلبّسةً الأفلام كأي جنيّ، تعتلي صهوة الغرفة الوحيدة، تقف بجرأة أمام الجدار الأبيض مواجهةً كرسيّاً طويلاً يمثّل الجماهير بكلّ درجاتها، مبتسمةً للجيران المطلين من نافذة الغرفة، عفواً قصدت «البلكون» كما يطلق عليه في القاعات السينمائيّة الضّخمة، لتبدأ باجترار أحداث الفيلم أمام الأب العاجز والإخوة الجوعى، وببراءة مضحكة تحاول أن تقلّد إغراء «مارلين مونرو» وتحاكي البراءة عند «بريجيت باردو». طفلةٌ فتحتْ عينيها على قول أمها المتكرر أمام المرآة: «لماذا أرتضي أن أكون مجرد حشرة حُباحب مضيئة بينما بمقدوري أن أصير نجمة؟» دون أن تعرف أنّها ستصير ظلاً لنجوم كثيرة في هذه القرية. كانت ماريا تغوص في قصص «جين أوستري» و«كيد كولت»، وورثت عن والدتها ولعاً لا مثيل له بالمسلسلات الإذاعيّة، أما السرّ الذي أخفته عن الجميع (وهو سبب ولعها بالأفلام على الأغلب)، فهو أن والدتها كانت تقصّ عليها أفلاماً رومانسيّة قبل النوم، دوناً عن أخوتها الذكور، فذاك شأنٌ أنثويٌّ كما كانت تخبرها.

صارت حياتها فيلماً بمشاهد طويلة، تتأرجح ما بين أفلام «الكاوبوي» والحروب، وصولاً لأفلام الرومانس والحب. بدأ الاحتراف يتسلل لتلك المهنة الجديدة، فقد بدأت ماريا بالاختلاء مع مرآتها والتدرب على نبرات الأصوات المتنوعة والتكشيرات المميزة، وبدأت بعدها بالاستيلاء على بعض الأغراض لزوم العرض المسرحي السينمائي، مسدسات إخوتها الخشبية وقبعة أبيها القديمة، مظلة عتيقة وبعض الأكسسوارات، إلا أن كلّ ما جمعته لم يكن كافياً لتكمل «ماريا» قفزتها في سماء الأفلام، فبدأت تصنع العمائم والبراقع للأفلام العربية والمراوح للأفلام الإسبانية، سهاماً للهنود وسيوفاً للصينيين، خوذاً للمحاربين، قبعة لشارلي شابلن وقناعاً لزورو... والعديد من أدوات المبارزة لمعاركها السينمائيّة أمام الجماهير الذين بدؤوا يتوافدون إليهم لمشاهدة «الحوريّة ديلسن» الاسم الفني لـ «ماريا».

سرحتُ قليلاً وبدأت أعدّ الأقنعة والسيوف لديّ، المسدسات والبنادق، الرصاصات المتكومة في حلقي، ثياب ماري أنطوانيت وقبعات الريش من القرن الماضي.. العباءة، الدشداشة، الشروال، العقال والعديد من الأكفان البيضاء الناصعة... لا ينقصني شيء، كلّ هذا موجودٌ في محفظتي الصغيرة، أحملها على كتفي، أضمها تحت إبطي كسيّدةٍ من عشرينات القرن الماضي، وأتجه نحو

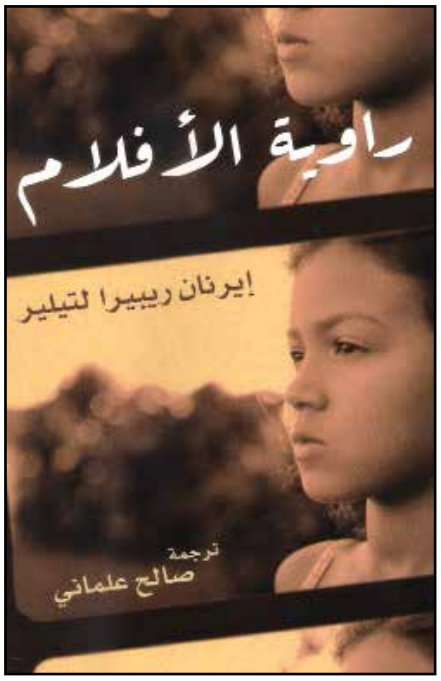

المرآة العظيمة في غرفتي، ما بين طولها وعرضها يتجمع مئاتٌ من المشاهدين، جمهورٌ عريض ينتظر أن أقصّ عليه يومياتي، أو ربما يومياته التي نعيشها بشكل أفلام كوميديّة مرة وتراجيديّة مرات، أتأرجح معها ما بين الملهاة والمأساة، وفي عمق مرآتي كواليسٌ يتجمع فيها عشرات الأبطال والكومبارس، ينتظرون غمزةً مني ليزيحوا السّتار ويقفزوا إلى جانبي، وفي حال غياب أحدهم أصاب فجأةً بانفصام في الشخصيّة، وأبدأ أصرخ بصوتٍ رجولي يثير الريبة في قلب أبي، يهرول فاتحاً الباب، لا أحد سوانا نحن الأربعة، أنا، هو وخيالانا في المرآة.. يرتفع التصفيق، لا يسمعه أبي ولا ينحني للجماهير، خجلتُ منهم، بعد خروجه، اعتذرت وأكملت عملي بقصّ الأفلام لعوالم المرايا. أكثر مَن يعشق روايتي للأفلام اليوميّة هم أولئك الأشخاص الذين يسكنونني، هنا فرصتهم الوحيدة للظهور، الرقص، الغناء والبكاااااء حدّ الفجيعة.

منذ أيام كنتُ أماً فقدتْ أبناءها، بكيتُ بحرقة حتى جفَّ قلبي، ورحتُ أتذكرهم واحداً تلو الآخر، موجودون هم داخل المرآة، وحقاً روى ذلك فؤادي. في المرة التالية كنتُ عروساً في سيارةٍ فارهة، ورحت أحاكي زمامير السيَّارات وأقلّد زغاريد النساء، فيما أصوات القذائف كانت تعطي خلفيّةً صوتيّةً مناسبة، رقصتُ ورقصتُ حتى تعبت أقدام روحي وارتحت على سريري. أحد الأفلام جعلني كهلاً بظهرٍ محدودب كعلامة استفهام، ضاع كلّ ما يملكه، وراح يحكي لقبره عن موعدهم القريب، من قلب القبر نبتت شجرة مليئة بالمواليد الجدد، رحتُ أبارك للأغصان حملهم الجميل، نبتَ لي مع كلّ مولود ابتسامة... غادرتُ السينما خاصتي أطفأت حزمة الضوء المنبثقة من جسدي ودعتُ الغبار المتراقص داخلها، ودّعت أبطال الحكايات انحنيت للجمهور، وأغلقت الباب على شاشتي السينمائية (مرآتي العزيزة) في سريري راح صوتُ (أم ماريا راوية الأفلام) «يزّن» في أذني «لماذا أرتضي أن أكون مجرد حشرة حباحب مضيئة بينما بمقدوري أن أصير نجمة؟»، وبدأت أفكر باسمٍ فنيٍّ لي.

المرأة في الأبحاث والدراسات

• صبحي فرنجية

تثير مشكلة وجود المرأة في المراكز القيادية في المجتمع العربي، والسياسية في مؤسسات صنع القرار، جدلاً واسعاً، ويتجلى هذا الجدل في نسبة التمثيل النسوية في تلك المراكز، والتي تعتبر مقارنة بالدول الأوروبية ضئيلة جداً، إلا أنها في منظور الرجل العربي تكاد تكون أكثر مما تستحق المرأة في هذا العالم.

وبعض المؤسسات ذهبت إلى عدم مشاركة المرأة في هيئتها الإدارية، والاستشارية، إيماناً من القائمين عليها بأن المرأة ليست أهلاً للقيادة، أو أنها مخلوقة لأشياء أخرى تتناسب طرداً مع تكوينها «الناعم» و«اللطيف». ووسط كل هذا، يقف مفكرون وجهاً لوجه مع هذه القناعات، وتطلق الدراسات الاجتماعية سهام الأدلة على أن المرأة قيادية، استشارية، وتفاوضية، وتشاركية بدرجات تفوق الرجل، بل وتتحداه فيها.

في دراسة قامت بها جوديت روزنز وسالي هلجسن باسم «الميزة الأنثوية»، استنتجت الباحثتان بعد الدراسة، والمطابقة مع آخر الدراسات العلمية إلى أن المرأة تتميز بصفات قيادية، نستعرض بعضها في هذه المادة.

المشاركة، حيث لا يخفى أن المرأة تحب المشاركة في كل شيء، حتى في الأعمال التي تتطلب جهداً قليلاً، وبالرغم من أن البعض يراها كسلاً وقلة مسؤولية، إلا أن علماء الإدارة ينصحون كل الإداريين بهذه الصفة في العصر الحديث، لما تحمله تلك الصفة من دفع نفسي في صف العاملين مع المدير أو القائد.

التعاطف، تلك الصفة التي طالما كانت دليل نقص عند المرأة في عالمنا العربي، إلا أن الباحثين وعلماء النفس لديهم وجهة نظر أخرى مفادها أن ميزة التعاطف تساعد المدير أو القائد على بناء علاقات حقيقية وصادقة، وذلك يساعد في جذب محبة الجميع، ورغبتهم في التحرك طوعاً نحو الأهداف المشتركة.

التفويض وإعطاء الصلاحيات، وهذه الصفة التي يفتقدها السواد الأعظم من الرجال،

الذين يتسمون بالعناد والتفرد، تمتلكها المرأة بجدارة وذلك يساعدها في كسب ثقة الشركاء، وشعورهم بمكانتهم ودورهم في المؤسسة، والذي بدوره يقود إلى عمل أكثر مرونة وتشابكاً في الأدوار.

الاتصال، فالمرأة تمتلك استعداداً أكثر للحوار، وخلصت أكثر الدراسات إلى أن المرأة تعتبر الحوار أساسياً في إدارة الأعمال، بالإضافة إلى أن المرأة أكثر انفتاحاً في الحديث عن مشاعرها وقناعاتها من الرجل، وذلك ما يساعدها على خلق علاقات أوسع، واكتساب معارف أكثر.

ولو أضفنا إلى تلك الميزات التي انتهت إليها دراسة «الميزة الأنثوية، صفات أخرى انتهى إليها علماء النفس والاجتماع، لكان لإدراكنا في هذا الجوهر «الأنثى» نهاية أخرى.

فالإبداع، تلك الصفة التي تعتبر «كعبة» العقلاء، الكل يحج إليها، والكل يحلم بامتلاكها، هي بنت الأنثى، وركيزة في تركيبتها، فالعلماء يقولون إن نسبة الإبداع عند المرأة تفوق نسبة إبداع الرجل بـ 25 % ، ولو حاولنا استغلال ذلك التفاوت في الإبداع داخل مؤسساتنا، لكنا ربما أفضل حالاً، وأكثر تقدماً.

ولو زدناك من العطر نفحة، وقلنا لك إن كثرة السؤال لدى المرأة حول التفاصيل، وفضولها نحو معرفة المعلومات، ليس مشكلة، وليس عادة سيئة، بل هو حجر أساس في ميزة تمتلكها المرأة أكثر من الرجل... هي بعد النظر..

وبعد النظر، طريقُ القياديين، وميزة الإداريين، وهل كانت مأساة أكثر الشعوب اجتماعياً إلا فقدان بعد النظر في قياداتها؟..

ولو نظرنا اليوم عالمياً، لوجدنا أن معظم الشركات الاقتصادية بدأت تستجلب النساء في التخطيط لمنتجاتها، وطريقة تسويق تلك المنتجات، فهل سألنا أنفسنا عن السبب؟

السبب هو صفة أخرى في طيات الأنثى، إنها «تفهم الحاجات»، فهي التي تستطيع تفهم الحاجة لدى النساء والأطفال، وهي التي

تستطيع أن تمسك عنق الزجاجة في كيفية التسويق وجذب المستهلكين. فكم من الشركات العربية اعتمدت تلك الميزة في طريقها؟

المشاركة، التعاطف، التفويض وإعطاء الصلاحيات، الاتصال، الإبداع، وبعد النظر، تلك صفات متأصلة في المرأة، ولا يحتاج المجتمع أكثر من تلك الصفات ليمتلك في مؤسساته، مدارسه، وجامعاته ثورة تقدم، وجيلاً مفعماً بالذكاء.

لكن ما يهم اليوم، ليس فقط قناعة الرجل بتلك الحقائق، بل أيضاً قناعة المرأة التي أخصاها المجتمع من التماس نقاط القوة في نفسها، و إذكاء شعلة الإبداع والثقة في روحها.

ما يهم اليوم، هو انتفاضة العقل الأنثوي من الركود الذي حبسه فيه العقل الذكوري في المجتمعات العربية، صرخة الروح الأنثوية التي كانت مقدسة في زمن البدايات، وكسر الزجاج عن نواة الإبداع في جنبات النفس الأنثوية.

من أجل متعته فقط، أوهم الرجل المرأة أن وجودها هو جمالها فقط، هو جسد يفيض عطراً فقط، هو عمل في الاستقبال فقط، هو أداة للترويج فقط، هو ملهاة لشهواته فقط.

ومن أجل المجتمع والمستقبل، ينبغي أن نسترجع حقنا في أن تكون المرأة في مراكز القيادة، وصناعة القرار.

إحصائيات نحو إدراك آخر بدور المرأة

قامت مراكز أبحاث أمريكية بإحصائيات لدور المرأة في مجتمعها وبنائه، نورد بعض ماانتهى إليه:

11 % من قيادات البنوك الأمريكية نساء، 11 % من قيادات دور النشر الأمريكية نساء، و19 % من إداريي شركات الأغذية الأمريكية نساء.

ونسبة قرار المرأة في كثير من شؤون الحياة هي:

94 % شراء الأثاث، 92 % تحديد مكان السفر، 91 % اختيار المنزل، 80 % القضايا الصحية، 51 % الإلكترونيات، و50 % من مستخدمي الإنترنت.

السيـداو

CEDAW

لأهميتها، تقوم مجلة «سيدة سوريا» بنشر اتفاقية السيداو على أجزاء، بدءاً من العدد الثاني.

المادة 26

1. لأية دولة طرف، في أي وقت، أن تطلب إعادة النظر في هذه الاتفاقية، وذلك عن طريق إشعار خطي يوجه إلى الأمين العام للأمم المتحدة.
2. تقرر الجمعية العامة للأمم المتحدة الخطوات التي تتخذ، عند اللزوم، إزاء مثل هذا الطلب.

المادة 27

1. يبدأ نفاذ هذه الاتفاقية في اليوم الثلاثين الذي يلي تاريخ إيداع صك التصديق أو الانضمام العشرين لدى الأمين العام للأمم المتحدة.
2. أما الدول التي تصدق هذه الاتفاقية أو تنضم إليها بعد إيداع صك التصديق أو الانضمام العشرين، فيبدأ نفاذ الاتفاقية إزاءها في اليوم الثلاثين الذي يلي تاريخ إيداع هذه الدولة صك تصديقها أو انضمامها.

المادة 28

1. يتلقى الأمين العام للأمم المتحدة نص التحفظات التي تبديها الدول وقت التصديق أو الانضمام، ويقوم بتعميمها على جميع الدول.
2. لا يجوز إبداء أي تحفظ يكون منافياً لموضوع هذه الاتفاقية وغرضها.
3. يجوز سحب التحفظات في أي وقت بتوجيه إشعار بهذا المعنى إلى الأمين العام للأمم المتحدة، الذي يقوم عندئذ بإبلاغ جميع الدول به. ويصبح هذا الإشعار نافذ المفعول اعتباراً من تاريخ تلقيه.

المادة 29

1. يعرض للتحكيم أي خلاف بين دولتين أو أكثر من الدول الأطراف حول تفسير أو تطبيق هذه الاتفاقية لا يسوى عن طريق المفاوضات، وذلك بناء على طلب واحدة من هذه الدول. فإذا لم تتمكن الأطراف، خلال ستة أشهر من تاريخ طلب التحكيم، من الوصول إلى اتفاق على تنظيم أمر التحكيم، جاز لأي من أولئك الأطراف إحالة النزاع إلى محكمة العدل الدولية بطلب يقدم وفقاً للنظام الأساسي للمحكمة.
2. لأية دولة طرف أن تعلن، لدى توقيع هذه الاتفاقية أو تصديقها أو الانضمام إليها، أنها لا تعتبر نفسها ملزمة بالفقرة /1/ من هذه المادة. ولا تكون الدول الأطراف الأخرى ملزمة بتلك الفقرة إزاء أية دولة طرف أبدت تحفظاً من هذا القبيل.
3. لأية دولة طرف أبدت تحفظاً وفقاً للفقرة /2/ من هذه المادة أن تسحب هذا التحفظ متى شاءت، بإشعار توجهه إلى الأمين العام للأمم المتحدة.

المادة 30

تودع هذه الاتفاقية، التي تتساوى في الحجية نصوصها بالإسبانية والإنكليزية والروسية والصينية والعربية والفرنسية لدى الأمين العام للأمم المتحدة.

وإثباتاً لذلك، قام الموقعون أدناه، المفوضون حسب الأصول، بإمضاء هذه الاتفاقية.

صبا الحكيم
رغم كل تضحياتها ما زالت المرأة السورية تعاني الاستلاب السياسي

• حاورتها سيدة سوريا

بعد قضائها سنوات من العمل في المجال الطبي، أدارت خلالها صيدليتها الخاصة في مدينة إدلب، ومن ثم انتقلت إلى ليبيا، حيث عملت لدى مؤسسات طبية في مدينتي بنغازي والبريقة، قررت صبا الحكيم، في لحظة ما، تغيير مسار حياتها المهنية، وبدأت كناشطة في مجال الدعم الاجتماعي في سوريا.. استمر ذلك إلى أن بدأت الثورة، التي فرضت واقعاً جديداً في البلاد، وهو ما دفعها إلى خوض تجارب عديدة، تلخصها الحكيم في حديث خاص لـ«سيدة سوريا».

في العام 2004، وجدت أن أولادي كبروا، وأن لدي طاقة وجهداً، ويجب أن أقوم بشيء يخدم المجتمع، فالإنسان الذي يمتلك الصحة والوقت يجب أن يقوم بعمل يخدم فيه المجتمع. ومن هذا المبدأ، قمنا كمجموعة من الأشخاص، بتأسيس جمعية أطلقنا عليها اسم «الرعاية الإنسانية للمعاقين» بمدينة إدلب، وبدأنا العمل مع المعاقين، ممن لديهم متلازمة داون (المنغوليين)، إضافة للتوحد وصعوبات النطق. كنت عضواً في مجلس إدارة الجمعية، سعيدة بعملي هذا، لأننا كنا نقدم ثقافة العمل التطوعي، وهي ثقافة مهمة للإنسان والعمل الاجتماعي. خلال تلك الفترة شاهدت مآسي الناس والمعاقين، حضرت مؤتمرات عديدة طبية ودوائية وخاصة بالمعاقين.

لم يكن لك أي نشاط سياسي حينها؟

لا.. لم أخض في مجال العمل السياسي، أنا ميالة للعمل الاجتماعي أكثر. وحين اندلعت الثورة السورية، خرجنا وتضامنا. وقد سوق النظام حينها فكرة مفادها أن غالبية الذين خرجوا إلى الشارع هم من البسطاء، لذلك أردنا أن نثبت العكس فخرجنا في المظاهرات، وأسسنا في مدينة إدلب يوم 2/9/2011 (التجمع الوطني للشباب والمثقفين)، ضم هذا التجمع الثوري أطباء ومهندسين ومحامين وأساتذة وجامعيين، وكنا نجتمع في كل أسبوع ونصدر بيانات خاصة بالحراك. وكنا نتناقش ونتدارس وكان هناك عدد محدود من النساء، ووصلنا في مرحلة من المراحل إلى 250 عضواً.

في تلك الفترة، دعيت إلى حوار نظّمه النظام بمدينة إدلب، حضره مسؤولون في حكومة النظام، وحينها تفاجأت بأن كل من حضر، هم من التابعين له، ومن بينهم من خدم ثلاثين أو أربعين عاماً في فروع ومراكز حزب البعث، وكذلك شخصيات أمنية. يومها امتلكت الشجاعة، وطرحت رؤيتي وكان موقفهم أنه: «لا يجوز أن نهدم بلدنا أو نشتم رئيسنا»، فقلت لهم: أنتم السبب، أنتم الذين تحكمون منذ أربعين عاماً الحزب والشبيبة والطلائع ومديرية التربية.. لماذا تهمشون الشعب ولا تمنحونه حقوقه؟.. أين المساواة والحرية...؟»

كما كنت في تلك الفترة، عضو اللجنة الأهلية، خرجنا مرات عديدة في اعتصامات مديرية الصحة وأمام القصر العدلي في إدلب، للمطالبة بالإفراج عن المعتقلين، وخاصة زملائنا الصيادلة والأطباء. كما ساهمنا في تسهيل أمور بعثة المراقبين العرب إلى سوريا حين كانوا في إدلب، وحاولنا إيصالهم إلى مناطق عدة، لدحض ادعاءات النظام.

في العاشر من آذار 2012، دخلت قوات النظام إلى إدلب، وحينها بدأ المواطنون يتسلحون للرد على عمليات قتل المتظاهرين. وبالرغم من ذلك، واصلنا عملنا، لكن بشكل سري. كما تواصلنا بشكل سري مع أعضاء من لجنة المراقبين، التابعة للأمم المتحدة، إلى سوريا. ومع مرور الوقت، بدأت الأمور تسوء أكثر فأكثر، فقررت مغادرة البلاد والتوجه إلى تركيا. وحين وصلت إلى الأراضي التركية، بدأت بالتواصل مع المجلس الوطني السوري، وطلبنا (كتجمع) الانضمام للمجلس الوطني.. رفض بعض أعضاء التجمع الانضمام، لذا قررت أنا وبعض الزملاء الانضمام باسمنا كنشطاء في الحراك الثوري بتاريخ 2012/4/11.

كيف سارت الأمور في مكتب المرأة بالمجلس.. وما هو وضع المكتب في الائتلاف اليوم؟

حين أصبحت عضو مكتب المرأة في المجلس الوطني، بقينا عدة أشهر نطالب بتفعيل المكاتب

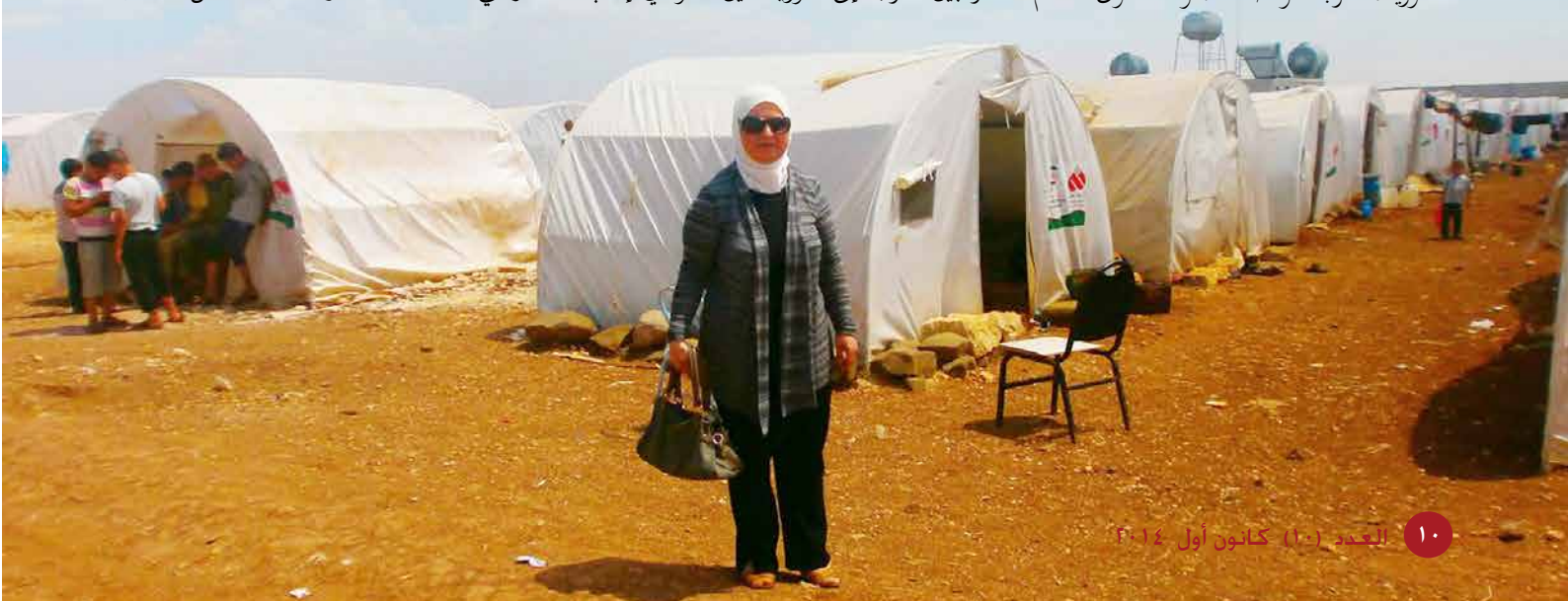

بالنظام الداخلي للمجلس الوطني. وحينها، وعدونا في المجلس أنهم سيضعون هيكلية المكاتب وخاصة تلك العاملة ضمن الأراضي السورية، وظل الأمر على ما هو عليه لفترة طويلة. وبعد انتخاب «جورج صبرا»، رئيساً للمجلس الوطني، سمعنا أن المجلس قد شكل المكاتب، ولكن لم نعلم كيف ترشح رؤساء المكاتب، إذ إنهم لم يتصلوا بنا كهيئة عامة، ولم يخبرونا بشيء.. تفاجأنا كثيراً بعد نحو شهر من تشكيل المكتب، حين أخبرونا في الهيئة العامة، أنهم شكلوا مكتب المرأة برئاسة الدكتورة «تغريد الحجلي»، والمكتب الصحي برئاسة الدكتور «مصطفى حاج حامد».. وحينها انضممت إلى مكتب المرأة، وأصبحت رئيسة المكتب في مدينة الريحانية التركية.

ماذا عن ترشحك كامرأة لرئاسة الحكومة السورية المؤقتة؟

ترشحت لرئاسة الحكومة المؤقتة كمبادرة لتشجيع النساء، ولتسجيل موقف، لأننا كنساء ننادي دائماً بحق المرأة في المشاركة، وبقدرتها على تبوأ أعلى المناصب، لكن في كثير من الأحيان لا نجرؤ على الخوض في الشأن العام، إضافة إلى أسباب أخرى كتقصير المعارضة في إنصاف المرأة مع وجود الكثير من الكوادر القادرة على العمل بروح وطنية، ولأنني أريد أن أعمل من الداخل، ومع مؤسسات الثورة، رغم الأخطاء والتقصير الذي حصل منهم، فأنا أؤمن أن الإصلاح يجب أن يكون بالعمل من داخل المؤسسة وليس بالتنظير والتهجم والنقد عبر الصحافة وعلى صفحات التواصل الاجتماعي، ولاستكمال مسيرتي الثورية بالتعاون مع كافة الثوار والمعارضين لإنجاح الحكومة وإنقاذ سوريا من النظام الفاسد.

هل كنت جزءاً من كتلة سياسية معينة، وكيف جرت الأمور في تلك الانتخابات؟

لا، لم أكن جزءاً من أي كتلة سياسية، أنا عضو في المجلس الوطني السوري، ممثلة عن الحراك الثوري، لقد انسحبت من الانتخابات، لكني قدمت برنامجي الحكومي ولقي ترحيباً واسعاً من غالبية الأعضاء، وجاء انسحابي نتيجة لعدم قناعتي بجدية الانتخابات، بسبب التجاذبات والمحاصصات الحزبية والتعطيل وعدم إنصاف المرأة.. وأتمنى لمن فاز النجاح

وأن يعمل في خدمة الشعب السوري في هذه الظروف الصعبة.

كيف تنظرين إلى مسألة تمثيل المرأة في مؤسسات الثورة؟

للأسف، التمثيل ضعيف جداً، بل هامشي.. بالرغم من أن دور المرأة في الثورة كان بارزاً وأنها تحملت عبئاً كبيراً، ومازالت مستمرة بتحمل هذا العبء، لا تزال مسألة التمثيل هامشية جداً.. أنا ضد هذه السياسة، ونحن نعمل رغم واقع الإقصاء هذا. وأقول للأسف إن هناك نساء يقصون بعضهن بعضاً، وهذا بحد ذاته مدعاة للاستغراب.

قبل أن تبدأ فكرة المجالس المحلية (وهذه كانت فكرتنا)، اجتمع أهالي إدلب، وانتخبوا عشرين عضواً للمجلس المحلي بإدلب.. ولأول مرة شعرت بمعنى الانتخابات الديمقراطية. حضر الانتخابات أكثر من 200 شخص وانتخبوا عشرين عضواً، خمسة منهن نساء كنت إحداهن، واستلمت رئاسة المكتب الصحي.

كانت الفترة قصيرة جداً، حاولنا أن ننظم المكتب في ظل الإمكانات الضعيفة.. حاولنا التواصل مع بعض المؤسسات الصحية بهدف الدعم،ولكم لم نتلقَّى أي مساعدة.

كيف تنظرين إلى دور التشكيلات النسائية التي ظهرت في ظل الثورة؟

الواقع أننا كنا نعيش في صحراء، فيما يخص العمل النسائي، الذي اقتصر على مؤسسة شكلية هي الاتحاد النسائي، التي كان يتبع لجهة معينة، ذات لون واحد، وتابعة لحزب معين.. وتالياً، يمكن القول إن المرأة متعطشة للعمل، وهذا ما دفعها إلى تأسيس تشكيلات خاصة بها. أعتقد أنها ظاهرة جيدة، وكنت أتمنى أن تكون مفعلة أكثر، وأن تلاقي هذه التشكيلات اهتماماً من جانب المؤسسة السياسية في المعارضة. هناك مؤسسات نسائية لديها الكثير لتقدمه، وفي المقابل هناك مؤسسات هي مجرد اسم فقط، ولكي تكون هذه المؤسسات أكثر فاعلية، عليها أن تفتح أبوابها للجميع، وتتجنب الاقتصار على فئة معينة.

هل من أفق لتحرر المرأة السورية في ظل الواقع الحالي؟

أنا لا أطالب بتحرر المرأه فقط، وإنما بتحرر المجتمع من الفوضى والتبعية والهيمنة من قبل بعض الأفراد أو الاحزاب أو القوى العسكرية، مازال الطريق شاقاً للوصول إلى دولة مدنية ديمقراطية، دولة المواطنة التي تحترم حقوق الإنسان وتجرم العنف والتمييز ضد المرأة.

برأيك، هل يمثل الحراك النسوي في الخارج واقع السوريات داخل البلاد؟

المرأه السورية أثبتت فعالية في كل مجالات الثورة، بالرغم من الظروف الصعبة التي تعرضت لها، ولا تزال تعيشها، من انعدام الأمن والاقصاء والتهميش، وطغيان المجتمع الذكوري وانتشار الفكر المتطرف، لكنها ماضية في تحقيق هدفها.. والحراك النسوي الحاصل خارج سوريا، يعد واقعاً جديداً تخوضه المرأة، يساعدها لتزداد خبرة وتعلّماً، وتأخذ دورها الذي كانت محرومة منه لعقود، لتخدم قضيتها وثورتها بما تملك من قوة، هناك حراك نسوي داخل المناطق المحررة لا يرقى لطموحاتنا، وهو محفوف بالمخاطر والصعوبات ويجب دعمه.

تاريخ الحركات النسوية
عود على بدء

• رهف موسى

ارتبطت الحركات النسوية التحررية بالتغيرات السياسية العالمية، لأن ما قاسته المرأة خلال تلك التغييرات والفترات التي سبقتها من معاناة كان مضاعفاً، أولاً كونها تعيش هذا التغيير وتساهم فيه بدور لا يقل أهمية وصعوبة عن الرجل، وثانياً لأنها امرأة في مجتمع ذكوري، حالما ينتهي هذا التغيير يعيد المرأة إلى مكانها التقليدي في المنزل، ناسياً نضالها إلى جانبه أثناء مرحلة التغيير، هذا المجتمع الذكوري يساهم بتفجير هذه الحركات بقوة لاستعادة ما سلب من حقوق المرأة وإنسانيتها، فكما أن الأرض لا تعود لوحدها إن سلبت، كذلك هي الحقوق بحاجة لمن يهتف بها.

الحركات النسوية الغربية

تاريخ الحركة النسوية هو سرد للمسار الزمني الذي مرت به الحركات والأيديولوجيات الهادفة للحصول على حقوق المساواة للمرأة. على الرغم من أن النسويين حول العالم يدعمون قضايا وأهداف مختلفة تبعاً للفترة الزمنية والثقافة والبلد، إلا أن معظم مؤرخي الحركات النسوية الغربيين يؤكدون على أن أي حركة تسعى للحصول على حقوق المرأة يجب أن تعتبر «نسوية» وإن لم تطلق على نفسها تلك التسمية.

ينقسم تاريخ الحركات النسوية الغربية إلى ثلاث فترات أو «موجات» ركزت كل منها على جانب معين:

الموجة الأولى من الحركات النسوية

ظهرت هذه الحركة في نهاية القرن التاسع عشر، وامتدت حتى بداية القرن العشرين، وكانت تطالب بالحصول على حق التصويت والتعليم، والحق في ظروف عمل أفضل، بالإضافة إلى إلغاء التمييز على أساس الجنس. برزت هذه الموجة في الولايات المتحدة الأمريكية في ظل الحركات المعارضة للعبودية، فالتقارب بين القضيتين دفع الكثير من النساء للاجتهاد في سبيل التخلص من الرق والحصول على حقوقهن. ومما كان يميز هؤلاء النساء أنهن يساوين بين الرجال البيض والسود في الحقوق، ونتج عن ذلك صدور وثيقة «سينيغا فيلز» والتي طالبت بإعطاء المرأة الحق في التصويت الانتخابي، وحق الزواج، والحق في التملك. وأطلق على أعضاء الحركات النسائية الأولى اسم «مناصري حقوق المرأة». كان من أهداف الموجة الأولى للحركات النسوية انتزاع حق المرأة في حرية التعبير والمشاركة في الفعاليات والنشاطات السياسية، وحق المرأة في الإدلاء بصوتها الانتخابي، بالإضافة إلى تكوين مجتمع قائم على قيم أخلاقية جديدة.

الموجة الثانية من الحركات النسوية

ظهرت الموجة الثانية في بدايات الستينيات، واستمرت حتى نهاية الثمانينيات. رأت نساء هذه الموجة أن التفرقة الاجتماعية والسياسية مرتبطتان بقوة، ولا يمكن الحديث عن التخلص من التفرقة السياسية على أساس الجنس دون التأثير في أفكار المجتمع. حيث رأت نساء الموجة الأولى بأنه يمكنهن أن يرتقين بمطالبهن وأن يحصلن على حقوقهن الشخصية، لكن نساء الموجة الثانية اعتقدن بأن هذا لا يجدي نفعاً، لأنهن كنّ يتطلعن لنشر الوعي الفكري السليم، والوصول إلى مطالب المساواة في الحقوق. واستمرت أفكار وجهود

هذه الفترة حتى الموجة النسوية الثالثة. عملت هذه الأخيرة على محاولة إيجاد حلول أكثر تأثيراً في حل مشاكلهن، وذلك من خلال القيام بالثورات الشعبية مثل الوقوف ضد حرب فيتنام.

كان من نتائج هذه الموجة ظهور «حركات الرجال»، التي وقفت في وجه الحركات النسائية في أواخر عام 1960، حيث اعتبر المسار الذي رصد هذه الحركة مساراً رجعياً، فهذه الحركة كانت محسوبة على تيار المحافظين الملقب بـ«الباكلاش» (الحركة الرجعية) الذي ظهر عام 1980، وقامت هذه الحركة بتبنيه كرؤية معارضة للتيار النسائي.

الموجة الثالثة من الحركات النسوية

ظهرت هذه الموجة الجديدة في بدايات التسعينيات كرد فعل على ما اعتبرته نساء تلك الفترة فشلاً للموجة الثانية، وأيضاً رداً على التيار الرجعي الذي كان معادياً لأفكار ونشاطات الموجة الثانية. سعت الموجة الثالثة لتجنب تعريف الموجة الثانية الأساسي لـ«النسوية» والذي بالغ بالتركيز على تجارب النساء البيض من الطبقات المتوسطة العليا. وتمركزت معظم أيديولوجيات النساء في هذه الموجة حول تفسير معنى الجندر والجنسانية خارج نطاق ثنائية الذكورة والأنوثة.

تيارات الحركة النسوية

نشأت خلال هذه الفترات ثلاثة تيارات تمحورت حولها الحركات النسائية، تمثلت بتيار «النسوية الإصلاحية الليبرالية» المنتسب لخط الثورة الفرنسية وامتداداتها الفكرية، ويستند على مبادئ المساواة والحرية والمطالبة بحقوق للمرأة مساوية لحقوق الرجل في مختلف مجالات الحياة. ويتميز هذا التيار بإيمانه بنجاح النظام الرأسمالي في تأمين حقوق وفرص متساوية للمرأة والرجل. التيار الثاني هو «النسوية الماركسية» الذي اعتبر أن معاناة المرأة وقهرها بدأا مع انتشار الملكية الخاصة، وعلى عكس «النسوية الليبرالية» آمن هذا التيار بأن انخراط المرأة في

سوق العمل ونضالها في الصراع الطبقي سيساعد في انهيار النظام الرأسمالي وإزالة الطبقية. أما التيار الثالث فهو «النسوية الراديكالية»، والذي عمل على التعويض عن نواقص التيارين الآخرين عن طريق تأكيد طابع التمييز العام ضد النساء بغض النظر عن المنطقة والثقافة، والمستقل عن الطبقات. اقتبس هذا التيار مقولة المفكرة الفرنسية «سيمون دو بوفوار»: «لا نخلق نساء، بل نصير نساء»، وجعله أبرز شعاراته.

نضال المثليات والسوداوات والبيئيات

ظهر في السبيعينيات تياران جديدان ساعدا في توسيع مجال تفكير ونشاط الحركات النسوية، كان أولهما «تيار النسوية المثلية»، الذي اخترق جميع الحركات النسوية من وجهة نظر أن التمييز يكمن في العلاقة بين الجنسين، وتتم محاربته عن طريق الانسحاب من هذه العلاقة واللجوء إلى علاقة مثلية يتساوى جميع أطرافها. «حركة النسويات السوداوات» كانت التيار الثاني الذي كان له الأثر الأكبر في إثراء الحركات النسوية وصب في مصلحة المدرسة النسوية الراديكالية «الأكثر تطرفاً». حمل هذا التيار تجديداً في الحركة النسوية تمثل في نشوئه في أوساط الناشطين السود مضيفاً البعد العنصري للمعادلة التي سبق أن شملت البعدين الجنسي والطبقي. وعمل هذا التيار على المقاربة بين أساليب التمييز العنصري والتمييز الجنسي ووضعها في خانة واحدة.

مع تصاعد الكوارث البيئية في الثمانينات، نشطت الحركات النسوية في المجال البيئي. وتصدرت النسوية الهندية «فاندانا شيفا» تياراً نسوياً بيئياً زادت شعبيته في دول العالم الثالث، وقد نادى بفكرة أن المرأة كالطبيعة، تتعرض لذات أنواع الاستغلال الذي تتعرض له الموارد الطبيعية من قبل النظام الرأسمالي ورجاله. لذا فالثقافة السلمية والمعادية للرأسمالية والمحترمة للشعوب والطبيعة هي القادرة على إلغاء الاستغلال والتمييز الذي تتعرض له المرأة.

المرأة والأنظمة السياسية العربية

عملت الأنظمة الاستبدادية العربية، (وبذريعة محاربة إسرائيل والإمبريالية ومن بعدها الإرهاب) على قمع واحتواء الحركات المنادية بالحرية والمساواة في الدول العربية، واستطاعت تجنيد الآلاف من المستضعفين والبسطاء، وحولتهم إلى جلادين وحوش وظيفتهم تعذيب المعتقلين لتأديبهم وسلب الاعترافات منهم في معتقلات تنتشر على امتداد الوطن العربي.

بالإضافة إلى تعزيزها منظومة الدين والتقاليد، للحيلولة دون انكسار قيود التحرر المفروضة على المجتمع وخاصة المرأة. وقفت الحركة القومية العربية حائلاً دون تطور الحركة النسوية باستخدامها القمع المتواصل، وحاولت احتواءها وتفريغها من محتواها الذي يهدف للمساواة، بجعل المنظمات النسوية جزءاً من الأنظمة القومية الحاكمة وإجبارها على ترديد شعاراتها ضد الاستعمار والصهيونية، ثم راحت تعمل على تحريف نضالاتها من أجل حقوقها المستقلة بتوجيهها لخدمة مصالح هذه الأنظمة. لقد ساهمت الحركة القومية العربية في وضع عصا غليظة في عجلة تطور الحركة النسوية العربية.

الحركات التحررية الغربية والعربية

تعيش المرأة العربية حالة اغتراب عن جسدها الذي لا تشعر بامتلاكه وحرية التصرف به، فالحركة النسوية العربية مازالت ضعيفة في مواجهة هذه

المسألة بجرأة أمام المجتمع، وتعاني من صعوبات وعرقلات كبيرة في استصدار تشريعات داعمة لحقوق المرأة في امتلاك جسدها، إلا على نطاق ضيق، ولا يمكن وصفها بأنها تشريعات منصفة، لوجود ثغرات فيها تنفي وجودها أساساً. في حين أن الحركات النسوية الغربية استطاعت قطع أشواط في هذا المجال، وتمكنت من أن تجبر حكوماتها على سن تشريعات تحفظ حقوقها. وكمثال على ذلك «قانون المضايقة» الذي يعاقب كل رجل ينظر نظرة ازدراء أو إهانة جنسية لامرأة وإن كانت زوجته، ويعاقب كذلك على أي تحرش جنسي، ابتداء من كلمة مسيئة وحتى التحرش الجسدي. وبموجب هذا القانون يحرم الرجل أيضاً من ممارسة الجنس مع زوجته أو صديقته بالإكراه.

لكن يبدو أن الحركات النسوية الغربية لم تكن ذات أثر واضح على المجتمع العربي، وذلك لاختلاف الواقع العربي عن الغربي. لكن كما استطاعت النساء الغربيات انتزاع حقوقهن بنضالهن وجهودهن لسنين مطولة، ولاقين محاربة من المجتمع والدولة، بإمكان النساء العربيات القيام بذلك بدورهن، فلا يخفى على أحد تاريخ الممارسات البربرية للكنيسة القروسطية تجاه النساء، وكذلك عندما طرح مشروع سن قانون لمنع استخدام العنف تجاه النساء في برلمان مقاطعة «كوبيك» في فرنسا في عام 1967، لاقى هذا الطرح الكثير من السخرية والاستهزاء داخل أروقة البرلمان، وعلق أحد أعضائه مستغرباً: «كيف لا تُضرب المرأة؟». وهذا يدل على أن واقع المرأة الغربي لم يكن أفضل بكثير من واقع المرأة الحالي، وأنه بالنضال والمطالبة بالحقوق يمكن انتزاعها، فلا وجود للواقع اليوم لولا نضال البشرية لتغيير ما كانت عليه.

وبينما تعيش الدول العربية هذه الأيام ربيعاً حالكاً، لم تتوقف حركات المرأة التحررية الفردية أحياناً والجمعية أحياناً أخرى، والتي في معظم الأوقات تتسم بالعفوية. فالمرأة اليوم هي مع الرجل في الخط الأول في الاحتجاجات وفي ميادين الدفاع عن حقوق الإنسان والدفاع المدني والعناية الطبية وحتى في ساحات القتال، وتعاني كالرجل من قمع الأنظمة والجماعات المتوالدة عنها. والتحدي الكبير الذي ستواجهه بعد انقشاع غمامة الأنظمة الدكتاتورية هو رفض العودة إلى الرفوف المنزلية والمهام التقليدية، والتمرد كذلك على رفاقها في النضال، وانتزاع حقوقها المهدورة، واجتراح اعتراف من الرجل بندديتها.

المساواة بين الجنسين

الصورة النمطية للمرأة في المجتمع وانعكاساتها في الإعلام النسائي/الجزء الأول

• ترجمة: د. إنعام شرف
فريق ترجمة سيدة سوريا

تشكل الطريقة التي يتعامل بها الإعلام مع المرأة وقضية مساواتها بالرجل، وكذلك قضايا الظلم الاجتماعي والعنف، مصدر قلق للكثير من النساء في العالم. وتطرح المرأة اليوم العديد من التساؤلات حول طرق تمثيلها، وحول الصورة النمطية المقدمة عنها في وسائل الإعلام المختلفة. كما أن عدداً كبيراً منهن، ما زال يعبر عن عدم الارتياح حيال طريقة تعامل الإعلام مع المرأة والتناقضات التي تشوب هذه الطريقة، وخاصةً تلك المتعلقة بمسائل تخصها.

المساواة بين الجنسين: إحصائيات ونتائج متباينة

صحيح أن المرأة استطاعت خلال القرن الماضي تحقيق الكثير وإحراز تقدم واضح فيما يتعلق بقضية مساواتها بالرجل، لكن في المقابل، علينا الاعتراف بأنه ما زال الطريق طويلاً وشاقاً أمامها، وإليكم بعض الأمثلة:

– ما يزال حضور المرأة في سوق العمل، مقارنةً بحضور الرجل، أقل أهميةً، كما أن تمثيلها في الوظائف العليا ومراكز صنع القرار، ما يزال ضعيفاً. وإذا ما قارنّا الأجور التي تتقاضاها المرأة بتلك التي يتقاضاها الرجل، فإن هذا لوحده يقدم دليلاً قاطعاً على الاستمرار في سياسة عدم المساواة بين الجنسين. وقد أظهرت بعض الدراسات أن 58.3 % من جميع النساء اللاتي تتراوح أعمارهن بين 15 و64 عاماً هنّ نساء ناشطات في مجال العمل. أما نسبة الرجال في سوق العمل، ما بين صاحب عمل أو باحث عن عمل، فهي 73.6 %، وهي حقاً نسبة تفوق بكثير نسبة النساء. أربع نساء من عشرة، أي ما يعادل 41.7 %، هنّ نساء غير عاملات، مقابل رجل واحد من أربعة، أي 26.4 %. كما وأظهرت الإحصائيات أن 52.7 % من النساء اللاتي في سن العمل يمتلكن وظيفة، بينما لدى الرجال الذين تتراوح أعمارهم بين 15 و64 عاماً، فإن هذه النسبة تصل إلى 68 %.

– في الفضاء الخاص، وعلى الرغم من بعض التقدم الحاصل على هذا الصعيد، فقد أظهرت معظم الدراسات أن الأعمال المنزلية وتحمل مسؤولية الأطفال وتربيتهم والعناية الصحية بهم، ما تزال تقع بالدرجة الأولى على عاتق المرأة. وبحسب الإحصائيات، فإن النساء اللاتي تتراوح أعمارهنّ ما بين 19 و65 عاماً يكرسنّ بالمتوسط 10 ساعات في الأسبوع للأعمال المنزلية، وساعتين لتعليم أطفالهنّ، بينما الساعات التي يكرسها الرجال لهذا النوع من الأنشطة هي أقل بكثير. لكن، ومقارنةً بسنوات السبعينيات، يعد هذا الفارق ضئيلاً جداً.

– وأخيراً، إذا كانت الصورة النمطية، والسلوكيات الذكورية، وكذلك السلوكيات القائمة على أساس الجنس وسلوكيات أخرى، ذاهبة في التضاؤل، فإن هذا لا يمنع من استمرار وجودها في كثير من المجتمعات، خاصةً الذكورية منها.

تأملات في الصورة النمطية للمرأة في الإعلام النسائي:

تمثيل المرأة في الإعلام النسائي يعكس بشكل جليّ صورة المرحلة والمجتمع الذي تعيش فيه. فمنذ بداياته، في منتصف القرن الثامن عشر، لعب الإعلام النسائي دوراً مهماً في حياة أجيال كاملة من النساء، ورافقهنّ في مسيرة التطور وتغيّر آليات التفكير في المجتمعات.

لقد بدأت المجلات النسائية تأخذ شكلها الحالي، مطبوعة على ورق مقوّى وموضحة بصور، في ثلاثينيات القرن الفائت، وأخذت الصورة المتداولة عن المرأة عبر النشر النسائي بالتغير، والذهاب أكثر نحو التطابق مع طبيعة المرحلة. فدور المرأة لم يعد من اليوم فصاعداً يقتصر على الزوجة أو ربة الأسرة، وإنما أصبحت قادرة على مغادرة القطاع الأسري الخاص لتعمل في قطاع الخدمات العامة. وأصبحت أنشطتها في ازدياد مضطرد، ما أدى إلى تغيير صورتها النمطية والتزام الإعلام النسائي بتقديم هذه الصورة، ليس فقط في إطار المرأة الزوجة، ولكن أيضاً في إطار المرأة المستقلة والعملية.

إن تحرر المرأة من الضغوط العديدة التي قد تواجهها يجعلها قادرة بشكل حتمي على العبور من الفضاء الخاص إلى الفضاء العام، وغالباً دون التخلي عن الفضاء الأول، ولكن بالتوفيق فيما بينهما. هذه المرأة القادرة على التوفيق بين الفضائين، أصبحت بعداد النساء الموصوفات بالخارقات، أي النساء اللاتي تمكّن (بالإضافة إلى لعب أدوارهنّ التقليدية في الحياة)، من ممارسة أنشطتهنّ غير الاعتيادية خارج الإطار الأسري. وتعزيز هذا النموذج لا يتطلب فقط وجود النساء، وإنما أيضاً الشابات والفتيات من الجيل الجديد. وعليه، أصبحت الصورة المقدمة عن المرأة العصرية في وسائل الإعلام هي صورة المرأة الخارقة، التي بمقدورها التوفيق بنجاح بين أنشطتها المهنية التي تغنيها وتثري تجربتها في الحياة، وأنشطتها الاعتيادية والتقليدية، المتمثلة في تعليم أطفالها وواجباتها الزوجية والمنزلية. ومنذ سبعينيات القرن الفائت، أصبحت صورة المرأة الخارقة هي المعتمدة والمتداولة في المجلات النسائية.

توجد اليوم الكثير من المجلات النسائية، وغالبية عناوينها تستهدف النساء بشكل رئيسي. البعض منها يتوجه إلى الشابات في سن العشرين، والبعض الآخر موجه أو يستهدف النساء الأكبر سناً، ولا سيما الأربعينيات منهنّ. وسواء كنّ شابات في العشرينيات أو أكثر نضجاً وعمراً، أو ربات بيوت أو ناشطات، فجميعهنّ على الأغلب يجدن أنفسهنّ في المجلات النسائية، ويجدن أن هذه المجلات تعبر بطريقة ما عن طموحاتهنّ، وعن الصورة اللاتي يرغبن بالظهور من خلالها في المجتمع والحياة العامة.

وغالباً ما تشترك هذه المجلات ببعض الصفات:

– الاهتمام بتقديم صورة نموذجية عن المرأة.

– العمل على محتوى يستجيب بشكل أساسي للأمور الثلاثة التالية: الترفيه، الإعلام وتقديم النصح والمشورة.

– إرادة صريحة بمرافقة النساء ومساعدتهنّ في حياتهنّ اليومية، والرغبة في أن تكون هذه المجلات بمثابة مصدر النصح وموضع ثقة لدى النساء.

– تطوير محتوى فكري، سواء كان بشكل معلن أو مبطن، يصب بشكل أساسي في مصلحة المرأة.

والمحتوى الفكري في هذه المجلات لديه أيضاً العديد من أوجه التشابه:

– عناوين تعالج وتقدم المشورة حول موضوعات مصنفة بشكل نمطي على أنها موضوعات نسائية: التنحيف، الجمال، الرجل، الحياة الجنسية، المطبخ، النظام الغذائي والتسوق.. إلخ.

– ألعاب، اختبارات، مقالات ثقافية، أبراج وهوايات.. إلخ.

– مقالات أو ملفات حول قضايا تتعلق بالمرأة، كالمرأة في أفغانستان، وختان الفتيات في إفريقيا، أو في أحسن الحالات عن معاناة المرأة في العمل والمجتمع.

وهذا لا يمنع من وجود بعض المجلات النسائية الثائرة، التي تعالج موضوعات على درجة عالية من الحساسية المجتمعية والأهمية. إذ لا تتردد بعض المجلات من نشر مقالات نقدية تتعلق بالموسيقى اليوم مثلاً، أو مقالات عن النساء الشاذات جنسياً، أو تقارير عن الحرب تم إعدادها من مراسلات في دول تعيش حروباً أو صراعات. وهذا النوع من الموضوعات يعد من الأمور النادرة التي تتم معالجتها في هذا النوع من المجلات، لا سيما تلك التي تكرس غالبية صفحاتها لموضوعات الموضة والجمال. لكن وبشكل عام، ما زال الإعلام النسائي بعيداً عن معالجة قضايا حقيقية تتعلق بالمرأة وبوضعها، وهنا نتحدث عن حقوق وتمكين المرأة ووضعها المهني والأسري، وهذا القصور في المعالجة يعود على الأغلب إلى موضوع التمويل، حيث تفضل الكثير من الجهات الممولة التركيز على موضوعات الديكور المنزلي، الماكياج، الصحة وإلى ما هنالك من القضايا السطحية، التي لا تقدم ولا تؤخر أي شيء في حياة المرأة.

التمثيل النسوي والخطابات المتضاربة:

أولاً– في المجتمع:

منذ سنوات عديدة أصبحت صورة المرأة العصرية، كما أسلفنا، تتمثل بالمرأة القادرة على التوفيق بنجاح بين حياتها الخاصة وحياتها المهنية. لكن حتى تكون المرأة «خارقة»، حسب الوصف، لا يكفي أن تكون امرأة عصرية، وإنما هذا يتطلب مجموعة من العوامل والممارسات الأخرى التي قد تكون صعبة التحقيق أو التطبيق، وذلك لأن هذه العوامل والممارسات تكشف عن مجموعة من الخطابات المتضاربة التي تسمعها المرأة وتعاني منها في حياتها اليومية:

– في كثير من الأحيان تكون المرأة ذكية وقادرة على التصرف، لكنها تكون في الوقت ذاته عاطفية وخاضعة.

– يمكن أن تكون رياضية، لكن الطابع الأنثوي يغلب على تصرفاتها.

– يمكن أن تكون أماً وربة منزل، وناجحة في حياتها المهنية، وهذه تركيبة ما زالت الكثير من المجتمعات تجد صعوبة في تقبلها.

وتظهر بعض الدراسات أن الوضع اليوم لم يحرز تقدماً ملحوظاً للتقليص من حجم هذه التناقضات أو حلها، فمثلاً أن تكون المرأة أماً وربة منزل وناجحة في حياتها المهنية، يشكل اليوم العقدة الأساسية في شرط الأنوثة. كيف يمكن أن تنجح المرأة في التوفيق بين هذه الالتزامات؟ للأسف، يمكن لها أن تنجح من خلال تجنبها مشاكل تتعلق بتوزيع المهام المنزلية بينها وبين زوجها، أو باستقدام خادمة لتقوم بهذه الأعمال عنها. وعندما تكون المرأة عاجزة عن استقدام المساعدة من الخارج، هذا يعني أنها تنتمي للطبقة الشعبية الفقيرة. ومع انتشار العمل الجزئي، أصبحت لدى النساء فرصة أكبر للتوفيق بين الحياة الأسرية والحياة المهنية، لكن هذا على حساب تقليص الأجر الذي تتقاضاه، بالإضافة إلى ازدياد الأعباء المنزلية. وهذا ما قد يتسبب للكثير من النساء بحالات الاكتئاب ونوبات الغضب.

كانت المرأة في سبعينيات القرن الفائت، تنادي بحقوقها وتريد الحصول على كل شيء. اليوم، لا تزال المرأة تنادي بحقوقها وترغب بالحصول على كل شيء، ولكن ليس بأي ثمن، فهي لا تريد أن تصل إلى نهاية النهار وهي جاثية على ركبتيها، لكنها تريد كسب عيشها بعرق جبينها، ومن حقها أن يكون لها وقت مخصص تقضيه مع أطفالها وزوجها. والسؤال الذي يطرح نفسه، لما لا تستطيع المرأة الحصول على كل شيء ترغب به، في الوقت الذي يحصل فيه الرجل على كل ما يريده؟

ثانياً – في المجلات النسائية:

إن الخطابات المتضاربة التي تظهر في المجتمع، تجد أيضاً صداها في المجلات النسائية، وإليكم بعض الأمثلة:

– تخفيض الوزن أو لا شيء. هناك تقريباً إجماع معلن على موضوع تخفيض الوزن، وذلك جلي من خلال حجم التعبير عنه وحجم الصور التي تؤكد عليه. والهوس بهذا الموضوع لا يخلو من المعنى، فهو لا يعبر فقط عن الحاجة للكمال الشكلي، وإنما أيضاً عن الحاجة للتأكيد على ديناميكية هذا الجسد الأنثوي وعلى قدرته على المشاركة الفعالة في مجتمع العمل وفي الفضاء العام. فالنحف لا يتعلق فقط بزيادة المفاتن لدى المرأة، وإنما بجوانب أخرى كالرشاقة في الحركة والتعبير عن الاستقلالية. ففي عالم الموضة والأزياء، تكرس المجلات النسائية جل اهتمامها على التأكيد على أن النحافة هي عنصر أساسي من عناصر الجمال. ولهذا يكاد لا يخلو عدد من الأعداد في المجلات النسائية أو عنوان، من نصائح وإرشادات ومقالات تتعلق بآليات التنحيف والنظام الغذائي المتوازن، الذي يحافظ على رشاقة المرأة وحيويتها. وهي المجلات نفسها التي تكاد أيضاً لا تخلو في أي عدد منها من وصفات الطعام وطرائق تحضير الطعام الشهي والولائم للعائلة والأصدقاء. كيف يمكن للمرأة أن تحافظ على رشاقتها ونحفها، وهي تستمر في تناول مختلف أنواع الأطعمة والأطباق الشهية؟ إلى أي موضوع يجب أن تنجذب المرأة، وصفات التنحيف أم وصفات الطعام المقدمة في المجاة نفسها؟

– موضوع المظهر، يجب على المرأة أن تظهر دائماً بالمظهر الحسن. الاتجاه الحالي هو أن تبقى المرأة «على طبيعتها»، لكن دون التخلص من مواد العناية بالبشرة والماكياج. ظهرت خلال السنوات الأخيرة منتجات تجميلية طبيعية أو بيولوجية، وسواء كانت هذه المنتجات أو لم تكن صديقة للبيئة، فإن التسويق لها يتم على أساس أنها الطريقة الرائعة والبسيطة للمحافظة على الجمال الطبيعي. كيف يمكن للمرأة أن تكون جميلة وبنفس الوقت على طبيعتها بطريقة مفبركة؟

– سلوك نسائي؟ تجد المرأة نفسها في القرن الواحد والعشرين تغوص في بحر من الضغوط والمشاكل النفسية التي لا تنتهي. لكن المطلوب منها أن تتعامل مع هذه الضغوط بكل سلاسة ورحابة

صدر وبهدوء تام، وأن تحافظ على ابتسامتها واسترخائها مهما كانت الظروف.

هذه الأمثلة لا تعبر عن كل شيء، فما زال هناك الكثير من نوعها، مثلاً: أنفقي/ادخري، الأناقة ليست مهمة/الأناقة مهمة جداً، اهتمي بنفسك/أنانية عليكِ الاهتمام بالآخرين... إلخ.

لقد خضعت الخطابات المتضاربة، التي نواجهها على جميع الصعد في المجتمع، إلى مختلف أنواع الدراسات في علم النفس، ولا سيما تلك التي نواجهها في بيئة العمل. وتظهر هذه الدراسات أن الصحة النفسية لدى الفرد الخاضع لضغوط مضاعفة أو لضغوط متناقضة، بشكل متكرر وعلى المدى البعيد، يمكن أن تتأثر بصورة كبيرة. وقد تؤدي هذه الضغوط إلى التسبب في نوبات قلق مستمر، معاناة وإرهاق ذهني وشعور بالعجز، لا بل بعدم الفعالية، وكذلك بحالة من الاكتئاب وما إلى هنالك من هذه الأعراض. وهذه الملاحظات تنطبق تماماً على المرأة، لا سيما المرأة التي تجد نفسها في مواجهة مجموعة من الخطابات المتضاربة، والتي تمت الإشارة إليها سابقاً.

يتبع في الجزء الثاني:

– المجلات النسائية والحركة النسوية.

– المجلات النسائية والمرأة التي تشعر بالذنب.

– ليس كل ما يلمع ذهباً.

دراسة أعدها قسم الخدمات التعليمية المستدامة وقضايا الصحة/ وزارة المجتمع–فرنسا

المصدر:

http://www.questionsante.be/outils/images_femme.html

مكتومو القيد
كيانات على ذمة الاعتراف بها

• خوشمان قادو

ربما لم يجرّب أحدٌ شعور تجريده من الجنسية فجأةً، في لحظة ما، تغدو ضحية إحصاء لم يشملك بحجة أنّك تأخرت مثلاً! كيف ستُعامل حينها في وطن لم يستطع أن يسعكَ ويسع وجودك، وطنٌ لم يترك لك سوى الألم والشقاء في هذه الحياة. من يملّك الحق أن يحرم أي إنسان حق امتلاك الهوية أو الانتماء؟! من الصعب جداً أن تفقد في يوم واحد كل شيء حتى ما يُثبت هوية وجودك.

في الخامس من شهر تشرين الأول عام 1962 أقدمت السلطات الحاكمة في سوريا آنذاك، على إجراء إحصاء استثنائي في محافظة الحسكة حصراً، تم بموجبه تجريد عشرات الآلاف من المواطنين الكرد في هذه المحافظة من جنستهم السورية بشكل عشوائي واعتباطي، حيث تم تقسيمهم إلى فئتين، الفئة الأولى: سجلوا في سجلات سُميت بـ«سجلات أجانب محافظة الحسكة»، والفئة الثانية: لم يسجلوا في أية سجلات رسمية سورية وسموا بـ«مكتومي القيد».

وكان الإحصاء المذكور وفقا للمرسوم الجمهوري التشريعي رقم (93) في 23 آب 1962 في سوريا، في عهد رئيس الجمهورية «ناظم القدسي» ورئيس مجلس الوزراء «بشير العظمة» والمتضمن قراراً سياسياً بإجراء الإحصاء الاستثنائي للسكان الكرد في منطقة الجزيرة، لتحديد هوية كل مواطن وتحديداً الكرد، حيث استند المرسوم الآنف الذكر على المرسوم التشريعي رقم (1) والمؤرخ في 1962/30/4، وعلى القرار الصادر عن مجلس الوزراء رقم (106) والمؤرخ في 1962/22/8.

«فلك أحمد» امرأة في الأربعين من العمر، تسكن في مدينة قامشلي، وتعتبر من إحدى الضحايا الذين باتوا يُعرفون بمكتومي القيد، متزوجة من رجل مواطن (يحمل الهوية السورية)، ولديهما أولاد لم يعانوا مثل والدتهما في حق المواطنة والحقوق الأخرى، هذه السيدة كانت ولاتزال تعاني الكثير من الآثار السلبية التي تركها الحرمان من الهوية السورية. تقول السيدة أحمد: «ولدت وأنا مكتومة القيد، بالتأكيد حين أدركت ماهية هذه المقولة شعرت بأنني جُردت حتى من إنسانيتي، كيف لا، وأنا لا أملك ما يحفظ لي حقوقي في هذا الوطن؟!». الكثير من هؤلاء كانوا من المتفوقين والطموحين في دراستهم، إلا أنهم لم يستطيعوا تحقيق رغباتهم الطبيعية، والتي تعتبر حقوقاً بسيطة لكل المواطنين في دولهم، تخبرنا السيدة أحمد عن معاناتها ومعاناة أخيها في الدراسة: «أخي الكبير، بعد إنهائه المرحلة الإعدادية أكمل دراسته في ثانوية الصناعة، وكان الأول على مستوى القطر، لكنّه لم يستطع أن يكمل الدراسة الجامعية لأنه بكل بساطة مكتوم القيد، كما أنني كنت أنوي إكمال دراستي لأصبح معلمةً مدرسية، على الرغم من أنني كنت مجتهدة في دراستي، لكن والدي منعني من الدراسة بسبب عدم وجود مستقبلٍ دراسي لمكتومي القيد، إذ إنني لا أستطيع أن أتوظف ولا أن أكمل دراستي».

مئات الآلاف الآن لا يحملون الهوية السورية، حيث تسبب ذلك الإحصاء في حرمان ضحاياه من ممارسة جميع حقوقهم الطبيعية المترتبة على الحق في الجنسية: (المدنية، الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية والسياسية... إلخ)، مما أفقدهم أهم عوامل ومستلزمات ممارسة حياتهم الاعتيادية، مثل حقهم في العمل، التوظيف، التعليم، السفر، حق التملك والانتفاع بالأراضي وحق المشاركة في الحياة العامة للبلاد.

ثم تحدثت لي السيدة أحمد عن المشاكل التي تعانيها هي وآخرون مثلها: «أولى هذه المشاكل هي الحرمان من التعليم، حتى وإن درسوا فهم لا يستطيعون أن يكملوا دراستهم، لا يستطيعون السفر، ليس لهم حق التملك».

إن هذا الإحصاء الاستثنائي ترك الكثير من المعاناة والمشاكل في مجتمع منطقة الجزيرة، وكان النواة الرئيسة لخلق شعور بعدم قبول هذه الدولة لهؤلاء المواطنين الذين يعيشون على أرضهم، ذلك من خلال المحاولة لسلب كل ما يجعلهم مواطنين ولهم كامل الحقوق.

تصمت السيدة أحمد لدقائق، وتقول، وهي منهكة من هذا الموضوع: «حتى إن استطعت إكمال دراستي الجامعية، هذا الشيء كان سيسبب لي نوعاً من الدونية والإحساس بالنقص، ففي النهاية

سيكون البيت هو حيزي الأخير، حينها لا أستطيع مساعدة أهلي ولا زوجي مستقبلاً».

نتيجة هذا الإحصاء العشوائي، ظهر في العائلة الواحدة أبٌ مواطن (حامل للجنسية) وأبناء أجانب (غير حاملين للجنسية)، ظهر في العائلة الواحدة «الأب أجنبي» و«الأبناء مواطنون»، أجيالٌ بأكملها لم تسلم من تلك السياسة التي مورست على أبناء هذه المنطقة.

تتنهد السيدة فلك أحمد قليلاً بعد أن نرتشف القليل من القهوة: «الآن وبعد هذا العمر، أحاول قدر الإمكان المساعدة في تعليم أولادي، حتى لا يعيشوا ما عشته أنا أو جيلي، كنت حزينة ولازلت»، ثم تردف: «لا أعرف لماذا كان هذا الإحصاء، ولِمَ منعونا من التعليم، ما كان يحزنني وأنا عائدة من المدرسة، حين كنت أرى المعلمة تخرج من المدرسة مرهقة، كنت أتمنى أن أكون مثلها في المستقبل، وأن أعيش حالتها وحتى تعبها أيضاً، لأنه بالتأكيد شعور ممتع. لكن كان قدرنا أن لا تتحقق أحلامنا».

كان هذا الإجراء من إحدى الممارسات الشوفينية لتلك الفئة الحاكمة بحق المواطنين الكرد، وخلّفت وراءها قصصاً عديدة وأجهضت أحلاماً كحلم فلك أحمد، ومنعتهم من تملّك حتى أحلامهم. إلى جانب الكثير من الممارسات التي كانت تهدف إلى تغيير ديمغرافية المنطقة كمشروع الحزام العربي، وله حكاية أخرى وغيرها من المشاريع الشوفينية.

النساء في ظل تنظيم الدولة
حرية معدومة وتطبيق أعرج للشرع

• جلال زين الدين

مازالت المرأة السورية تدفع ضريبة ما يجري في سوريا، فكانت الشهيدة، أم الشهيد، زوجته، أخته وابنته، وتعرضت للاعتقال والتعذيب مثل الرجل، بل وحملت السلاح. واليوم مع سيطرة تنظيم الدولة، تعاني المرأة السورية ضغوطاً جديدة من نوع آخر، باللباس والعمل والتعليم وحرية الحركة، والحياة الاجتماعية، فقد تدخل التنظيم بكل تفاصيل الحياة.

وما إن فرض تنظيم الدولة سيطرته العسكرية، حتى أتبعها بفرض إيديولوجيته، وفهمه الخاص للدين الإسلامي، وكان للمرأة النصيب الأكبر من هذه الإيديولوجيا، فقد دخل الخوف قلب المرأة مع دخول تنظيم الدولة للمدن السورية الشمالية، فصورة المرأة بالسواد لم تفارق مخيلتها، وكذلك الخوف من المستقبل المجهول ودخول المنطقة في صراعات لا تنتهي ربما بعشرات السنين، يرافقها الفقر والجهل وويلات حرب تكون المرأة فيها الضحية الأولى.

لقد كانت مدينة جرابلس الحدودية في ريف حلب الشرقي أولى المناطق في تطبيق اللباس الشرعي وتقييد حرية المرأة في نهاية العام الماضي، وتبعتها الرقة وبعض مناطق إدلب، ثم كامل ريف حلب الشرقي ودير الزور.

بدأ التنظيم بتطبيق قوانينه وأفكاره على المجتمع السوري، وأولها إجبار النساء الالتزام باللباس الشرعي وفق فهم التنظيم، لا كما تعود السوريون. تقول «أم عمار» من مدينة جرابلس: «عندما دخل التنظيم بدأ بفرض الحجاب الذي يغطي الوجه والعينين، ولم يرض بحجاب آخر، حتى النقاب رفضه، الأمر الذي سبب معاناة كبرى للنساء اللواتي تعودت غالبيتهن الساحقة لبس الغطاء الذي يخفي شعر الرأس فقط، أما تغطية الوجه، فقد تسببت بالكثير من المعاناة، خصوصاً لمن تعودن لبس البنطال طيلة حياتهن»، فالتنظيم يريد تطبيق فهمه الخاص للحجاب دون مهادنة، ويعد هذه الأمور من عوامل النصر التي لا تقل أهمية عن القتال في أرض المعركة، لأنه يعتقد أنّ نجاح دولته بتطبيق أفكاره بكل تفاصيلها دفعة واحدة، وإلا فإنَّ هذه الدولة (الحلم) ستفشل. يقول «أبو محمد الأنصاري» أحد عناصر التنظيم في ريف حلب الشرقي: «إن تنصروا الله ينصركم، فإقامة الشرع سبب للنصر، وشرع الله لا يجزأ، ولا يجوز أن يجزأ، ولا يحل لنا أن نختار وننتقي من الشرع ما يوافق الأهواء، فهذا ليس شرعاً، وقد ذمَّ الله من يتخذ إلهه هواه، والحجاب جزء بسيط من الشرع الذي لا يمكن التفريط به».

«مشكلتنا ليست مع الشرع فهو تاج على رؤوسنا، مشكلتنا فهم التنظيم له»، هذا ما يقوله «حسن المحمد» المدرس في إحدى ثانويات ريف حلب الشرقي، ويتابع قائلاً: «فرض اللباس الكامل مع غطاء العينين سبب (عند بداية فرضه في المدارس قبل أن يتم فصل المدرسين عن المدرسات لاحقاً) الكثير من الحوادث، كوقوع المدرسات على الدرج وسبب لهن الكثير من الحوادث المحرجة، فوقوع مثل هذه الحوادث في المدرسة كان يأخذ طابعاً كوميدياً، وبعض التعليقات الأخوية، فالمدرسون والمدرسات يعيشون كأسرة واحدة، أما حصول هذه الحوادث في الشارع وأمام الناس، فكان يسبب لهن إحراجاً كبيراً جداً، إضافة إلى مواقف شعرن فيها بالإذلال والمهانة عندما تشاهد إحداهن جلد زوجها في الساحة العامة على الملأ، لأسباب بسيطة مثل عدم وضع غطاء على العينيين أو الخروج بلا قفاز لليدين.

ومنع التنظيم كل مظاهر الاختلاط، حتى إنه منع المعلمات من تدريس الصف الأول الابتدائي، معتبراً ذلك نوعاً من الاختلاط الذي لا يقره الشرع! وأدى تشدد التنظيم مع النساء، ولا سيما في الأسواق لتهرب الرجال من مرافقة زوجاتهم، فالعقوبة تطالهم قبل النساء تروي لنا «هنادي»، وهي ربة منزل، كيف أنها خرجت مع زوجها وأختها في أحد الأيام، وأثناء تجوالهم لشراء قطعة لباس لأحد أطفالهم التقوا في السوق مصادفة مع أحد أصدقاء زوجها، وبينما كان زوجها يتبادل الحديث مع صديقه، سألت البائع عن سعر قطعة اللباس، ليلمحها أحد عناصر الحسبة وهي تتكلم معه، فيقوم بتوجيه أقسى العبارات لها وللبائع بسبب تحدثهما مع بعضهما، متهماً إياهما بقلة الدين والتربية بالرغم من أنها شرحت له أنها كانت تسأل عن السعر لا أكثر، إلا أن ذلك جعله يصرخ أكثر، ولم يجرؤ زوجها على الحديث مع العنصر لمعرفته أن السجن سيكون مصيره إذا عرف أن هذه المرأة من إحدى قريباته. مثل هذه الحوادث جعلت الكثير من الرجال يتجنبون السماح لزوجاتهم أو بناتهم بالخروج للاختلاط والاندماج بالمجتمع، مما سبب لهن عزلة، إذ بدأت بعضهن يشعرن وكأنهن

عالة على الأسرة، أو أن وجودهن يشكل خطراً على المجتمع.

وتعرضت المرأة الأم للألم الأكبر، فقد وصلت الأوضاع لأسوأ مراحلها إثر قيام التنظيم بإصدار فتوى تكفر أهل أي مقاتل يمنعون ابنهم من الالتحاق بصفوف المقاتلين، (والمقاتل هنا قد يكون طفلاً لم يكمل عامه الثالث عشر)، مثل قصي من مدينة اعزاز، وهو طفل في الحادية عشرة، نازح إلى مدينة تادف، انضمامه للتنظيم من دون علم أهله أثار عاصفة من خوفهم، وتدهورت حال أمه إثر سماعها نبأ قيام طفلها بمبايعة الدولة والتحاقه بالدورة الشرعية بمدينة الباب. ولقد فعل الأب المستحيل لإقناع المسؤولين بأن حياة أمه في خطر، فتم إعفاؤه من الدورة ليقوم الأب فوراً بأخذ العائلة لتركيا بحثاً عن عمل وحفاظاً على أسرته من التشتت. وتحكي لنا «أم فادي» قصتها مع ابنها البالغ 16 عاماً، والذي التحق بصفوف جيش الإسلام الذي رفضه فوراً بعد معرفة قياديين فيه أن أهل فادي لا يرغبون بذهاب ابنهم للقتال. ومع دخول الدولة للمدينة قام بمبايعتهم فتم قبوله فوراً، ولدى قيام والده بزيارتهم وشرحه الموضوع لهم بأنه وحيدهم، تمّ تهديده بالسجن في حال عدم المغادرة فوراً. لقد فجع التنظيم قلوب الأمهات.

وأخطر ما يتعرض له المجتمع عموماً والمرأة خصوصاً هو التجهيل، فقد حرمت مئات الطالبات من إكمال تعليمهن الجامعي، وحرمت الآلاف من دخول الجامعة، فالتنظيم منع سفر المرأة من دون محرم، وأغلق جامعتي الرقة والاتحاد، تقول «فاطمة»: «حُرِمْتُ من الحصول على الشهادة الجامعية بعد أن وصلت للسنة الأخيرة، فالتنظيم يمنع سفر النساء دون محرم، ما منعني ومعظم زميلاتي من الذهاب للجامعة»، وستترك هذه الخطوة آثاراً سلبية على المجتمع والمرأة.

أمّا في بيئة العمل فقد أصبح الوضع خطراً والمعاناة أكثر، فمع تحريم تبادل الحديث بين الرجل والمرأة في كل مكان، بما في ذلك بيئة العمل، أضحى الجميع مضطرين للالتفات يميناً

ويساراً عند تبادل الحديث مع الجنس الآخر لأي سبب. كما سبّب اللباس المفروض من قبل التنظيم مشاكل كثيرة، الشابة فريال التي تعمل في عيادة أطفال، تمّ اقتياد والدها للسجن باعتباره وليّ أمرها، لأنّ عناصر التنظيم وجدوها كاشفة عن وجهها داخل العيادة. ومثل هذه التصرفات التعسفية جعلت النساء يفضلن الجلوس في البيت.

ويسعى رجال التنظيم من خلال الضغط الاقتصادي على الأسر التي تعيش في المناطق المسيطر عليها، حتى يقوم الناس بمبايعته لقبض رواتب مرتفعة نسبياً. إلا أن غالبية العائلات رفضت إرسال أولادها للموت، أما في بعض العائلات الفقيرة جداً، فنجد أن النساء ربما دفعن أحياناً الثمن الأكثر، لهذا الأمر لأن الحلول المتاحة لهن لتحسين وضعهن الاقتصادي تصبح في المجهول. وهذه قصة السيدة «أم حسن» وهي سيدة في الخامسة والثلاثين من عمرها، نازحة من مدينة

حلب، تكسب رزق أسرتها بقيامها بتنظيف المنازل، وذلك بالذهاب مع ابنها ذي العشر سنين، فتقوم بالمرور على بعض البيوت لتقوم بتنظيفها، وهي تعيش مع عائلتها في شقة غير جاهزة من دون أبواب ولا شبابيك، وقد تسبب البرد الشديد في هذا الشتاء القارس بالكثير من المعاناة خصوصاً أن لديها خمسة أطفال تحت 12 سنة. وفي أحد الأيام شكت حالها لزوجة أحد رجال التنظيم المهاجرين، فعرضت عليها مبايعة التنظيم والعمل في الشرطة النسائية، مقابل تأمين سكن جيد لها، ولما سمعت زوجة المهاجر الرفض، تم طرد أم حسن مباشرة من العمل في ذاك المنزل، لتقدم تلك المرأة نموذجاً حياً عن المواطنة الشريفة، في حين يقوم الكثير غيرها من رجال أو نساء بتقديم خدماتهم، بالرغم من أن وضعهم المادي جيد مقارنة مع هذه العائلة التي تعاني في كل يوم أكثر من السابق.

هذا جزء بسيط مما تعانيه المرأة السورية في ظل تنظيم الدولة، الذي حكمها باسم الدين وادعى تحريرها من الجاهلية والإباحية والاستعباد، متجاهلاً حقيقة وجوهر الدين الإسلامي الحنيف، الذي أعلى مكانتها أماً وزوجة وابنة، وجعل لها شخصيتها المستقلة، ومكنها من لعب دور بارز في تقدم الأمة، واهتم التنظيم بالقشور، وغاب عنه جوهر الإسلام الذي ساوى بين المرأة والرجل بالإنسانية.

أفكار تمهيدية حول تحرر المرأة
عن الوجه الطيب للحرية

• ضحى عاشور

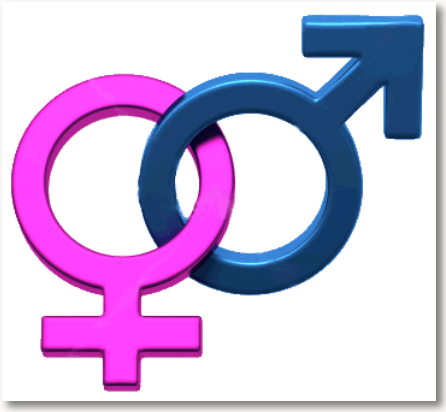

منذ أيام بكت على صدري شابة تشتكي هجر رفيقها، وهي تقول: همّي لا تحمله جبال، ربما تستطيعين أن تكتبي عنه رواية!. وفي التفاصيل وعدتها أن أكتب «بوستاً» صغيراً عن قصتها في الفايسبوك. كتبت البوست المتعاطف مع المرأة (طبعاً) على ورقة وأنا في القطار الذي يأخذني إلى دورة اللغة الفرنسية في منفاي الجديد. في نهاية الدرس الطويل كنا نستمع إلى أغنية فرنسية تحكي عن الهجران وآلامه، وكان الأستاذ يترجمها لنا، لفتني أنه يترجمها بصيغة المذكر، أي أن الذي يعاني من الهجر هو رجل، استوضحته وعقلي مشغول باللغة الفرنسية وقواعدها: هل هذه الكلمات بصيغة المذكر فعلاً؟ فاجأني الأستاذ (المتطوع اللطيف) بردّه القاطع: «أكيد، ليش عمرك شفتي حدا يتعذب وينتحر من الحب غير الرجال!». وتحت وطأة صدمتي وأنا المرأة الوحيدة في الدورة، أجبته (محاولة تجنب الدخول في معركة مع محيط كله رجال): «كثيرات من النساء يتعذبن ويمتن بصمت أو ينتحرن، وطبيعي ما عم يعملوا هيك شي لأنو الطبخة انتزعت مثلما يشاع عادة!». ابتسمنا جميعاً وأكملنا الدرس..

هذه الحادثة استبدّت بي، وجعلتني أنسى أمر نشر البوست عن الصبية المهجورة! لأعود إلى القصة العويصة إياها: هل الرجل هو الذي يظلم المرأة، أم أن المرأة هي التي تتلاعب بالرجل؟ أيهما أولاً الدجاجة أم البيضة؟ ولكم أن تجدوا عشرات النقاشات والجدالات المشابهة التي تستهلك الكثير من الوقت والجهد والأعصاب، وتستطيع أن تظل تدور في الدائرة نفسها إلى ما لا نهاية ودونما طائل، رغم أن لدى كل من الطرفين الكثير من الإثباتات والوقائع التي تؤكد صوابية رأيه.

التحرر من الأفكار المسبقة والصور النمطية:

بعد نحو أربع سنوات من خروجنا للمطالبة بالحرية والكرامة، أعتقد أن الكلام والتنظير استهلك نفسه واستهلكنا، مع تقديري أننا بحاجة لتأسيس نظري جديد على ضوء التجربة، لكن بعجالة أقول: مشكلتنا أننا نتعامل مع الحرية والكرامة (وكذلك الثورة) بما هي فضاءات فضفاضة (عموميات)، لم تتحول إلى أهداف واضحة تقتضي أن يكون لها وسائلها وخططها ودليل عملها وأدواتها. الحرية والكرامة تكتسبان، تنتزعان، بالتدريج والتراكم والعمل الدؤوب (الثورة)، الهادف إلى اقتحام المجالين العام والخاص، وكسر حلقات الاستبداد أو تفكيكها وردم الفراغات وملئها بالجديد المرتجى.

نقرأ ونتظاهر ونتحاور، ثم نعود إلى أطفالنا لنحدثهم عن الجنيّات وفضائل البقاء في المنزل، وفي أحسن الأحوال نسئمهم بمواعظ عن محاسن كبح جماح الرغبة والمغامرة ووأد الفضول. نطالب بالحرية والكرامة والعدالة للجميع، ثم نعود لنردد على مسامع إخوتنا الرجال وأولادنا الذكور، ولنُسمع أزواجنا أيضاً، أوصافاً تمييزية نمطية عن جمال فلانة ودقة خصرها ومقاس وركها وقدمها ربما، ومهارتها في الطبخ والمسح، ونصمت عن محبتها للآخرين ومساعدتها لهم، ونتجاهل بشاشتها وذكاءها واستقلاليتها وقدرتها على المبادرة وإيجاد الحلول للمشكلات. يغمرنا الحنان تجاه ولدنا «الكسول» ونخترع له الذرائع والمبررات، ونبرد أولاد الآخرين بألسنتنا ونظراتنا ورفضنا مصاحبتهم لأولادنا. نشترك جميعاً رجالاً ونساء في عدم تقبّل أخطاء الطبيعة في مقاييس الجسد أو توزيع العقل أو لون البشرة، نقرّع الآخرين على تفاهاتهم، ونهدر أوقاتنا في متابعة الأقاويل والثرثرات. نعاني في المراهقة والصبا من أمهاتنا ومجتمعنا، ثم لا نلبث أن نصبح شرطيات فظّات جلفات مع بناتنا. نبكي عزوف أزواجنا عن الاهتمام بنا، ونضعها حلقة في أذن الابن والأخ: «اهجروهن في المضاجع» واقطع رأس القط من الليلة الأولى، ننظف بيوتنا لأجل الغريب الذي يمكن أن يدوسه، ونرمي الأوساخ في طريق غريب آخر مادام لن يسعى إلينا، نلبس كما يحدد لنا السوق والإعلان ورجال الدين، ونملأ أدراجنا بمساحيق التجميل ولا حيلة لنا في تعزيل نفوسنا من مخلفات الاستبداد. نكاد نفعل كل شيء حسب إرادة مفروضة علينا، مدفوعين برغبة الاندماج بالمجتمع، ومع ذلك نضيع في الزحمة، فلا الجماعة تلتفت إلينا، ولا نحن نكاد نعرف

أنفسنا لشدة ما نشبه بعضنا البعض. لا نأنس لقريب ولا لحبيب، فلا تكاد تنتهي زيارة أو اجتماع أو لقاء حتى تبدأ النميمة والسخرية والانتقاد والبحث والتنقيب فيما وراء الكلام والسلوك. لكي نتقرب من الرجال نلوم النساء ونغرق في رحلة الكشف عن أسرار مكائدهن، ولنكسب ودّ النساء نشتم الرجال في العلن ونسعى إليهم في السرّ والفطرة.. إن لم تكن هذه هي العبودية، فما هي إذن؟!

ونتيجة «لثقافتنا» نتعلق بالمعجزات والحلول السحرية التي ستنهي كل المشكلات بالضربة القاضية، ولا أسهل من أن نردد: مجرد أن يسقط النظام كل شيء سينحل! والحقيقة أنه بهذا التبسيط لن يسقط شيء، وحتى إن سقط فلن ينحل أي شيء من تلقاء نفسه.

أما على مستوى تحرر المرأة، فكلنا قناعة أن «الكوتا» النسائية هي الحل! وكأن العالم منقسم إلى شرّ رجالي وخير نسائي (الثورة أنثى)؟! أليست النساء المضطَهدات هن أشد المدافعات عن العبودية؟ ألسن هن من يربين الذكور على القسوة والعنف تجاه الأضعف، وعلى التصاغر والطاعة أمام أولي الأمر تبعاً لما تفرضه عليهن ثقافة الاستبداد. ألسن هن الموكلات بحراسة استمرار تدفق وسريان قيم الهيمنة التي تجعل حتى من الوطن سيداً متعالياً متغطرساً لا يتوانى عن تعذيبنا وقتلنا، وما علينا إلا أن نظهر له الولاء والوفاء!

ربما تصبح النصوص الدستورية والقوانين و«الكوتا» النسائية حلولاً مجدية، عندما تكون نتاج حركة نسائية نشطة ويقظة وفعالة، قادرة على استقطاب النساء والرجال لصالح عدالة المطالب الإنسانية التي تنطوي عليها. فالحرية والكرامة والثورة معنية بالإنسان دون تمييز، مع مراعاة خصوصية الجنس. وطالما ابتعدنا عن هذا السياق، سيبقى موضوع تحرر المرأة حبراً على ورق كما هو الحال في كثير من دول العالم. كما أن «الكوتا» النسائية في تجارب عديدة سرعان ما يتم استيعابها واحتواؤها، أو تهميشها وتفتيتها من قبل الكتل والأحزاب السياسية. الضمان الوحيد لفعالية وتأثير أي إنجاز على المستوى القانوني والمؤسساتي هو السعي اليومي المواظب على كشف مظاهر التمييز والتسلط ومحاربتها، والعمل على إيجاد البدائل وتكريسها بقوة الوعي والإقناع والمحاولة وضرب المثل لتكتسب قوة العادة والعرف. هذا العمل، رغم صعوبته وضرورة استمراريته وتوفير سبل ديمومته، إلا أنه ينطوي على جانب احتفالي: تمارين على فرح الاكتشاف، على امتحان قدرة البشر وكفاءتهم في استئصال جذور العبودية التي تتغلغل في حياتنا وتسممّها، على العمل الجماعي المبدع والمتكامل، على المحاولة والتجريب في استنبات ثقافة جديدة بعقول حرة وإرادة متفائلة صادقة تحتفي بالإنسان وإمكاناته وتحفز محاولاته وآماله.

التحرر يعني من جملة ما يعنيه، أن نفتح ذاكرة الحكايات ونعيد تشذيب تفاصيلها، أن نغربل أمثالنا الشعبية ونثريها بمعارفنا وخبراتنا، أن نرفض تداول النكات والشتائم التي تقلل من شأن المرأة، وتبرز عدوانية الرجل، أن نحتفل بأغاني الحب والحياة والعمل وندع اللوعة والفراق والخداع للتندر والتاريخ، أن ندعو لحل المسائل الحسابية بأكثر من طريقة، وأن نمارس النشاطات المدرسية والحياتية المتعلقة بتوليد نهايات مختلفة ومتعددة للقصص، أن نستعين بالمعرفة، وإن تعذرت فبالعودة للحس السليم الذي يأنف الظلم والجور ويألف الصدق والطيبة، أن نرفض تسطيح العقل والسذاجات الدارجة التي تحشر البشر في خنادق متعادية إعلاءً لشأن الفرقة والحروب بأنواعها: رجل مقابل امرأة، أسود مقابل أبيض، شمال مقابل جنوب، ديمقراطية ضد الإرهاب..إلخ. وأن نتعلم الإصغاء والحوار مع النفس والآخر، والبحث في المشتركات والممكنات لإغناء التنوع الإنساني وإعادة لحمته بما يضمن العدالة والوفرة والسلام للجميع، وقبل كل شيء أن نقرر الانفتاح على شريك الحياة أباً وزوجاً وابناً وأخاً وصديقاً، فنحن شركاء في الهمّ نفسه: نعاني الظلم والحرمان وعدم الفهم واللوم واليأس الذي مازال يستعبدنا عبر ذاكرة مؤلمة نجترها بلا نهاية، ولا تحمل لنا إلا الخذلان وكأنه حقيقة ونهاية ليس منها بدّ.

التحرر أن نفتح عيوننا لنرى الآخر الذي أمامنا وحولنا كما هو، لا أن نجتر صورته المسبقة في ذاكرتنا، أن نفك قيود أنفسنا التي مزّقها الاستبداد المديد وجعلها تتشظى في حروب شرسة مفتعلة بين الجسد والروح والعقل والرغبات، وأن نستعيد قابليتنا للنمو والتجدد كما الطبيعة ومثل الحياة التي نستحقها معاً رجلاً وامرأة.

لباس المرأة المسلمة ما بين الفرض السياسي والزي التقليدي والرمز الديني

• سحر حويجة

يعود لباس المرأة إلى الواجهة، على الرغم من المعارك الضارية التي تعيشها سوريا، ومصائب وهموم الشعب السوري وأزماته التي لا تعد ولا تحصى، مرة باسم المقدس، ومرة باسم السلطة، حيث يصير قياس ولاء المرأة للسلطة وللدين رهن لباسها.

هذا ما يجري في المناطق التي يسيطر عليها المتشددون، خاصة في أماكن سيطرة «داعش»، فهناك قصص كثيرة حول فرض قسري لمظهر محدد، وعلى جميع النساء الالتزام به، في الشارع والأماكن العامة، وصلت حد التجريم، واعتقال طالبات من الرقة لا يعرف مصيرهن. أما في المناطق التي تقع تحت سيطرة النظام، في ظل ضبابية مسار الحراك، والخوف الشديد من النظام الذي يشدد الرقابة على المواطنين، حتى إنه، ولأتفه الأسباب، يمكن توقيف رجل أو امرأة، والشكل أو اللباس قد يكون شبهة. لكن الصورة هنا مختلفة، إذ نلاحظ ميلاً للانعتاق والتحرر على مستوى المظهر، والأسباب يمكن تلخيصها بإبعاد شبهة التعاطف مع المتشددين من جهة، وعكس متغيرات عميقة في واقع الأسرة السورية بسبب الحرب وما لحق المواطنين السوريين من قتل ودمار شتت الأسر من جهة أخرى، ونتيجة لفقدان المعيل أو وفاته أو سفره أو سجنه، وبسبب من ضغوط النظام ورقابته الشديدة على حافلات النقل، تحت ذريعة الالتحاق بالخدمة الإلزامية، أو البحث عن إرهابيين، حيث أصبح الرجال لا يتنقلون إلا مشياً على الأقدام وعند الضرورة فقط. هذه الأسباب وغيرها أعطت المرأة دوراً كبيراً في حياة الأسرة، بهدف حماية الذكور، وتأمين وسائل العيش للأسرة، فهي التي تذهب إلى السوق لتأمين حاجات المنزل، وتعمل لتأمين قوت أبنائها. كما تأثرت الأسرة السورية نتيجة النزوح، وازدحام البيوت، حيث البيت يضم مجموعة من الأسر، وتحولت الحدائق العامة إلى بيت من لا بيت له. كما أن ظاهرة الحواجز وسلطتها على الأهالي في الأحياء، ساهمت في انتشار ظاهرة التحرش ومصاحبة النساء بالرضى أو الإكراه، إضافة إلى ظاهرة الطلاق الواسعة نتيجة أزمة المعيشة والسكن. كل ذاك أثار حفيظة رجال الدين، فما يثير الانتباه أن خطب الجمعة تخصص جزءاً مهماً منها في الحديث عن لباس المرأة، في معرض حديثهم عن الانحلال الأخلاقي الذي يسود المجتمع، يطالبون الذكور بالتدخل في لباس بناتهن ونسائهن. وعرض تفاصيل اللباس المطلوب من وجهة نظر هذا الخطيب أو ذاك، مع العلم أن هذه الخطب تأخذ الموافقة من السلطة قبل أن يتم إلقاؤها، ليس في عدم منعها عجب مهما كانت الإساءة للمرأة، لأن المهم بالنسبة للسلطة أن تكون المرأة سبب الانحلال والفوضى والأزمة، المهم أن لا تكون الأزمة والفوضى من السلطة ورجالها، وليس من مانع لدى النظام في قمع المرأة ومراقبتها من قبل رجال الأسرة، لزيادة التوتر العائلي وإلهاء المواطنين بمشاكلهم العائلية، والهروب من حقيقة أن مجتمعنا السوري يعاني الفقر الشديد، الحاجة، الفقد، الفوضى وغياب القانون. إن مظاهر الانحلال ما هي إلا أحد المظاهر اللازمة للظروف القائمة، هذه الظروف التي تولد التفكك الأسري، ومشاكل أخرى كثيرة، لكنها في الوقت ذاته تساهم في انعتاق المرأة واستقلالها. فإن كانت حجج الأطراف المذكورة، تعبر عن قلق المجتمعات المسلمة واستبداد الهواجس بها حول الجنسانية الأنثوية ووسائل التحكم بها والسيطرة عليها، على اعتبارها مجتمعات ذكورية السيطرة والميول، بهدف صون الحياة الاجتماعية خوفاً من الانحلال، فإنّ هذا الاتجاه يمثل وجهة نظر المحافظين الإسلاميين، والمتشددين، ويلتقون في إقصاء المرأة وقصر مهامها، في ظروف تفترض

وضعاً مغايراً، وحاجات الواقع تفرض شروطها، فيصبح القسر والإكراه والعنف الوسيلة لتقرير الواقع، واقع اجتماعي يسحق فيه الفرد خارج الوجود، ولا مجال للكلام فيه عن حرية. فهل الدين الإسلامي مسؤول عن حال المرأة هذا؟ مع أن القرآن الكريم يشكل بالنسبة للمسلم مسألة مركزية مرجعية لها موثوقية مطلقة، لا يشك بصحة ما ورد فيه، بينما المصادر الإسلامية الأخرى سواء السنة والأحاديث والمذاهب فهي نسبية. كما أنه وفقاً للنظرة الإسلامية، لا يمكن إبدال القرآن بأي حديث يمكن أن يناقضه أو يتعارض معه. فيما يتعلق بمسألة الحجاب، كما وردت في القرآن مسألة خاضعة للاجتهاد، نلاحظ أن أغلب رجال الدين يأخذون أدلتهم من أحاديث أو مصادر شرعية غير القرآن، بالعودة إلى القرآن نجد أن مسألة الحجاب لم ترد إلا في آيات محدودة يفهم منها التواضع والاحتشام، تجاه الرجال والنساء. كما ورد في سورة النور/30،31/ «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين من زينتهن إلا ما ظهر منها»، وفي جزء آخر من الآية: «ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها

المؤمنون لعلكم تفلحون». أما ما ورد في الآية /60/ من سورة النور مخاطباً النساء الكبيرات بالسن: «والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم»، نجد أن أهم ما ورد في هذه الآيات هو مطالبة النساء بألا يتزين أو تظهر زينتهن، والزينة ليست شيئاً ربانياً بل مصطنعاً، أما الآية الأخيرة فهي الآية /59/ من سورة الأحزاب: «يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً». في هذه الآية حماية النساء من الأذى حتى لا يعرفن، وليس الهدف فرض لباس محدد على المرأة. في مجتمعات كان ينظر للمرأة كهدف جنسي. ومن أجل تمييز المرأة المسلمة من سواها، غير أن القصد القرآني كان يعتبر النساء مخلوقات إنسانية كاملة العقل والدين، ولهم حق الاختيار ولا تفرض قواعد من الخارج عليهن. كما أنه لا يوجد في القرآن ما يبرر الحجب والعزل الذي فرض على المرأة المسلمة في المجتمعات الإسلامية، لم يطالب القرآن بتحجيب النساء كلياً، وإلا لماذا طلب من الرجال أن يغضوا أبصارهم.

الحجاب كرمز سياسي

عندما انتفض الشعب الإيراني ضد الشاه، تحول الشادور الأسود إلى رمز لتحدي الشاه الذي أصدر أبوه مرسوماً منذ عام 1936 يمنع منعاً باتاً ارتداء الشادور، حيث طبق المرسوم بعنف بعد تمزيق أي غطاء تضعه النساء على رؤوسهن، ومنع الحجاب منعاً نهائياً وقسرياً. عندما فرض الشاه على النساء نزع الشادور كان يعتقد أنه يحررهن من التقاليد البالية، وعندما انتفض الشعب في إيران ضد الشاه، كان اللافت منذ بداية الانتفاضة، أن جميع الإيرانيات لبسن الشادور سواء المتحررات، أو غير المتحررات، في تحدٍّ للشاه وقراره التعسفي بمنع الحجاب، وازداد لبس الشادور مع تعاظم الحراك الذي شمل كل فئات الشعب الإيراني. كان الشادور حينها رمزاً تقليدياً للباس الإيرانيات، لكن عندما تحولت الانتفاضة باتجاه ديني أخذت هذه الرموز تأخذ طابعاً دينياً، من تقليد إلى هوية إسلامية، ثم إلى عبودية ضد

النساء. بعد عودة الخميني من المنفى وبناء الدولة الإسلامية، تحول الشادور إلى مسألة مركزية مفروضة، ولم تعد تكتيكاً، بالنسبة لمن لبسنه عن غير قناعة، فرق حراس الثورة تظاهرات شاركت فيها آلاف النساء ممن لا يرتدين الشادور في عام 1979، وضربوا النساء المتظاهرات بالعصي، كما سجلت حوادث عنف أخرى وصلت حد التشويه برمي الأسيد على اللواتي رفضن الشادور. استمرت النساء مرتديات الشادور بعد سيطرة الخميني على مقاليد الحكم في إيران، باستخدام شعارات لإثارة العواطف ولفرض قناعتهن على الأخريات بأنهن يرتدين الشادور عن قناعة دون إكراه، عندما فرض الشادور كان الخميني يعتقد أنه يحمي النساء من كونهن أهدافاً جنسية، وكأن النساء دمى لا علاقة لها بالأخلاق.

في سوريا، وتحديداً في فترة الصراع بين الإخوان المسلمين والسلطة، قامت سرايا الدفاع بنزع الحجاب من على رؤوس النساء في الشوارع، وتمزيقه وإهانة المحجبات. رغم أنه لم يصدر مرسوم بذلك، بل فرض انتقاماً وبهدف إثارة المشاعر الطائفية، واعتباره رمزاً سياسياً وليس زياً أو رمزاً دينياً. وعندما صدر مرسوم ينص على منع ارتداء الحجاب في المدارس، حرم الكثير من الأهالي بناتهن الذهاب إلى المدرسة.

كلمة أخيرة، إن فرض لباس ما على المرأة، يناقض مبدأ حراك ثوري في المجتمعات العربية، تشارك فيه المرأة مشاركة فعالة، تؤكد على قرارها المستقل. فهل يعقل أن من تواجه الأنظمة، ليست قادرة على الدفاع عن نفسها وجسدها؟! أليس من غرائب الأمور ألا تملك المرأة حرية الاختيار في لباسها، وألا تكون لديها القدرة في تقرير مصير جسدها؟ فهي ليست دمية للعبث كما يعتقدون، هكذا تظهر صورة المرأة المسلمة ملتبسة في الإعلام، على المستوى العالمي.

ما حك جلدك مثل ظفرك

المرأة في الإعلام العربي: سقف طموحاتها داخل جدران المنزل

• نجاح سفر

«اقعدي يا هند... الله ينتقم من اللي جاب الكوتا تحت هالقبة»... صرخة أطلقها عضو مجلس الشعب الأردني في وجه النائب «هند الفايز» لأن صوتها علا قليلاً في مواجهة من تعدى على حرية تعبيرها تحت قبة البرلمان الأردني، (البرلمان الذي يعتبر أعلى تجلٍ للديمقراطية في العالم)، وراحت تلك الصرخة مثلاً في وسائل التواصل الاجتماعي والإعلام العربي بشكل عام. فكيف هو وضع المرأة إذن خارج البرلمان، وكيف جسدت وسائل الإعلام العربية التي تحتل المرأة الجزء الأكبر منها، سواء عبر الإذاعة، التلفزيون، الصحف أو المواقع الإلكترونية واقع تحرر المرأة العربية؟

من خلال تتبعنا للإعلام العربي نلاحظ أنه يتم التركيز على المرأة من خلال برامج ثقافية، برامج درامية وأخرى إعلانية. لكن هل عكس الإعلام العربي فعلاً واقع المرأة أو قارب حتى موضوعة تحررها، التي تقاتل من أجلها يومياً، حتى انقلب السحر على الساحر وباتت «لعنة» تلاحقها؟

تبرز مشكلة تحرر المرأة وتتجسد في مجالين أساسين: الأول في تقديمها بوسائل الإعلام المختلفة إيجابياً، والآخر في استغلال صورتها سلبياً. فأهم البرامج التي توجه الإساءة للمرأة تعدها وسائل الإعلام والاتصال، سواء كانت في التلفزيون، الراديو، الصحافة، الإنترنت أو حتى المسرح والسينما. لقد تعاملت الإعلانات مع المرأة كسلعة مثيرة لترويج المنتجات التي هي بمجملها سلع استهلاكية، فثلاثون ثانية إعلانية كافية لترويج الصورة السلبية للمرأة التي تم استغلالها لتسويق السلع والخدمات على حساب إنسانيتها وكرامتها، لذلك يُعتبَر الإعلانُ التجاري المادةَ الأكثر تكريساً للصورة الذهنية المشوهة عن المرأة.

البرامج النسائية: تجنب التابوهات

أما البرامج النسائية، التي لا تكاد تخلو منها قناة تلفزيونية أو إذاعية، فتنصّب نفسها كمدافع عن قضايا المرأة والعمل على تمكينها اقتصادياً، سياسياً واجتماعياً. لكن هل نجحت تلك البرامج فعلاً بطرح قضية تحرر المرأة بشكل موضوعي؟ وهل كانت لديها الجرأة على طرح حقيقة المشاكل التي تعاني منها المرأة العربية، أم لامستها من بعيد خوفاً من تابوهات المجتمع؟

تقدم بعض البرامج المرأة بصورة إيجابية وناجحة من خلال عرضها لصورة المرأة العاملة، الإعلامية، المنتجة، الطبيبة، المهندسة، المحامية، الجندية، الشرطية، الفلاحة، الفنانة والأديبة، والتي تفوقت في كثير من الأنشطة العلمية والمهنية على الرجل، وبإمكانها تغطية مساحات جغرافية مختلفة وشاملة للبلدان العربية والعالمية.

لكن برامج أخرى مثل «كلام نواعم» على قناة mbc، و«الستات ما يعرفوش يكدبوا» على قناة الحياة، و«دنيانا» على BBC، و«هن» على قناة الحرة، و«ست الستات» على تلفزيون روتانا سينما، و«بنات حوا» على قناة LBC اللبنانية، و«سوالفنا حلوة» على تلفزيون دبي، معظمها برامج لم تأخذ التفاوت في المشاكل التي تعاني منها المرأة في مختلف الدول العربية بعين الاعتبار، فهناك دول حصلت فيها المرأة على حقوقها الأساسية وتقاتل لتنال حقوقها السياسية وتطالب بإلغاء جميع أشكال التمييز ضدها، إلا أن المرأة في دول أخرى لا تزال تطالب بأدنى حق من حقوقها مثل قيادة السيارة، بالإضافة إلى مشاكل تعاني منها المرأة المتزوجة من أجنبي مثلاً. كما أن فكرة تلك البرامج مأخوذة عن برامج غربية، لكن لم يؤخذ بعين الاعتبار أن هامش الحرية في طرح المشاكل الخاصة والحساسة لدى المرأة العربية معدوم، قياساً بالهامش العريض لدى المرأة الغربية، التي لا تجد حرجاً في الحديث عنها علناً في البرامج التلفزيونية، وتسعى لحلها بشتى الطرق، وجعلها قضية عامة يهتم بها القاصي والداني. بالإضافة إلى خضوع تلك البرامج لأشكال متنوعة من الرقابة ذات الطابع السياسي، الاجتماعي والديني، ثم التجاري والإعلاني، لذا يمكننا القول إن البرامج النسائية العربية لا تكاد تتعدى السطح في مناقشة القضايا المهمة للمرأة العربية.

المسلسلات: تكريس للعلاقة الشرعية

أما بالنسبة للمسلسلات العربية، فربما تلاقي المسلسلات السورية رضى عاماً عن طرح حرية المرأة فيها، فهي تقدمها بشكل واقعي وبدون رتوش، سواء كانت المرأة العاملة أم الطالبة أم ربة المنزل بكل التعقيدات الحياتية، ويتم التركيز في كثير من المسلسلات على المرأة المتعلمة التي تسعى لاكتساب حقوقها.

لكن بشكل عام، ظهرت المرأة في المسلسلات العربية بدور المتزوجة، المطلقة، الأرملة، العانس والعزباء، بينما لم تظهر بدور «العشيقة» إلا بنسبة قليلة جداً، مما يدل على أن العلاقة المسموح بها

بين المرأة والرجل في المجتمعات العربية هي العلاقة الشرعية المتمثلة في الزواج فقط، أما علاقة الحب والصداقات التي غالباً ما تجري قبل الزواج في البلدان الغربية، فهي علاقات محرمة في المجتمعات العربية بحجة المحافظة على العرض والشرف. يعبّر ذلك عن أزمة الحرية الشخصية التي تفتقر إليها المرأة في مجتمعات العالم الثالث عموماً، كما تعبر عن الجمود الفكري في الموروثات، والتقيد بالنصوص المتخلفة عن الواقع الموضوعي.

وهكذا اقتصر دور الإعلام العربي بشكل عام في التركيز على العلاقة المسموح بها بين المرأة والرجل في المجتمعات العربية، أي العلاقة الشرعية المتمثلة في الزواج وتكوين الأسرة والدفاع عن حقوق المرأة المتزوجة، والتأكيد على حرية الاختيار للفتاة بالنسبة لشريك المستقبل.

وقلة هي البرامج والمسلسلات التي ركزت على الموضوعات التي تعد من التابوهات في المجتمع العربي، والمتمثلة بالجنس والسياسة والدين، ومحاولة طرق الكثير من الأبواب المغلقة في موضوعة المرأة العربية.

هناك جانب آخر في تركيز وسائل الإعلام على المرأة التي تسكن العاصمة، رغم أنها لا تتجاوز الـ20% قياساً لتلك التي تسكن الريف والتي تجاوزت نسبتها الـ46%، وبذلك فإن أكثر من نصف مجموع النساء في مجتمعات العالم الثالث لم يتمتعن بحقوق متساوية مع الرجل بالقياس على ما تتمتع به النساء في العاصمة والمدن الأخرى، وهو ما يعني أن المرأة الريفية تعيش في ظل مستوى اجتماعي وثقافي متدنٍّ، يجعل منها امرأة مقهورة قليلة الوعي تابعة للرجل، فقدت هويتها الإنسانية واستقلاليتها وإرادتها الحرة، فثقافة المرأة في مثل هذه المجتمعات تتناسب عكسياً مع بعدها وقربها من السكن في العاصمة والمدن، حيث تتمركز المعرفة. وهذا يشير إلى محدودية حرية المرأة في الواقع المعاش، وهو ما تم عكسه من خلال الأعمال الدرامية.

ثنائية الاستسلام والانفلات

وقع الإعلام العربي بمعظمه في فخ ثنائية أن المرأة إما مستسلمة أو لعوب. لكن الأمر ليس بهذه البساطة، فليست كل النساء العربيات إما «ستات بيوت» أو منفلتات من الضوابط الاجتماعية، فالمرأة لها أدوار سياسية واقتصادية

وثقافية وعلمية وتنويرية ملموسة ومعترف بها من القاصي والداني، جعلتها شريكاً أساسياً في صناعة الحياة، الأمر الذي لم يبرزه الإعلام العربي بجلاء، حيث تجاهل المرأة العالمة والعاملة والمسؤولة وربة المنزل المبتكرة وغير التقليدية، وآثر تكريس الصورة الشائعة في الأذهان، وقدم الإعلام المرئي منه المرأة في صورتها النمطية، تلك الصورة التي لا تعني غير المرأة التقليدية.

مقابل الصورة السلبية السابقة لتحرر المرأة في الإعلام، توجد صورة إيجابية في بعض النتاجات الإعلامية، رغم أن تلك الإيجابية اقتصرت على أمور بسيطة واعتيادية، ودون الحد الأدنى من مكانة المرأة في مختلف مناحي الحياة، فهي تظهرها بدور هامشي ومتدنٍّ في عملية التنمية الإنتاجية، وأقل من دور الرجل بكثير. فرغم الإمكانيات الفكرية المتقدمة للكثير من الكتاب المبدعين في كتابة الدراما، والإمكانيات الفنية للممثلات وعموم القائمين بأدوار الاتصال الجماهيري المطلوب، ظلت الدراما فكراً وفناً دون الطموح.

ما الحل؟

على المرأة ألا تعتمد فقط على الرجل في قضية تحقيق حريتها، بل عليها تبني قضاياها الأساسية بنفسها، والتأكيد على دورها في إعداد منهاج عمل متكامل لتلك القضايا، وذلك لتغيير الصورة السائدة في الإعلام العربي، سواء كانت الصورة النمطية أو الصور المشوهة لها على وجه الخصوص.

كما يقع على عاتق الإعلام العربي مسؤولية إنشاء لجان متخصصة من المبدعين والأكاديميين والخبراء وعلماء النفس، للإشراف على إعداد برامج الفضائيات، لتكون فعلاً برامج ترفع الوعي وتطور قدرات المتلقين، واختيار شخصيات مثقفة ورموز ثقافية لتقدم أو تعدّ أو تشرف على إعداد برامج وسائل الاتصال عامة والفضائيات بشكل خاص، وإعداد مواد إعلامية بواسطة الفيديو كوسيلة إعلامية ترسل للمناطق الريفية والمناطق النائية، وتوظيف القنوات الفضائية العربية لبث برامج تعزز دور المرأة بما يتناسب والمتغيرات المتسارعة، وإدماج دور المرأة في التنمية. فضرورة المرحلة تتطلب وجود برامج تعنى بأشياء جوهرية في حياة المرأة، مثل انتقاد بعض التصرفات التي تمارس ضدها في مجتمعاتنا، وإدانة التمييز بينها وبين الرجل، وضرورة مساواتها به.

ثورة على القوانين والتشريعات التقليدية

• ملك قاسم

ما زالت المرأة السورية تجمع شظايا ما انكسر من أحلامها وما لا يمكن كسره، لتفرض واقعاً ومستقبلاً يليق بها. فمنذ أسطورة عشتار آلهة الخصب والجمال، مروراً بملحمة جلجامش التي صورت المرأة في أسمى وأرقى مكانة لها، فهي المعلمة والمروضة، وهي جزء مباشر أو غير مباشر في صناعة الخيال والوعي الجمعي والمجتمع في تقدمه على المستوى الروحي والحضاري، بل وحتى في صناعة الوجود الشرعي وتقدم الإنسانية.

منذ ذلك الوقت حتى الآن، ومفهوم الإنسان لا ينحصر في الرجل «الذكر»، وليست الذكورة مرادفة للإنسان، وليست المرأة جنساً آخر أو نوعية أدنى من البشر. الذكورة والأنوثة هما البعدان الجوهريان للوجود البشري، لكل منهما خصائصه وسماته ودوره، وتتكامل جميعها في سائر جوانب الحضارة الإنسانية. وعلى المرأة أن لا تنسى أنها ليست أقل من الرجل، وأنها ليست شبيهاً له، واختلافهما حق وعنصر إغناء للمجتمع ولحقوق المرأة.

إذاً هل يمكن حل وضع المرأة بالصراع مع الرجل وبالتناقض والتخندق، أم بالتعاون والتفاهم لإلغاء التمييز الواقع على المرأة، وهو تغيير مزدوج ومركب، بحكم الاستبداد الذي يعاني منه المجتمع ككل؟

لا شك بأن هناك العديد من المعوقات التي تقف عائقاً أمام إنصاف المرأة، من هذه المعوقات: معوقات اجتماعية، سياسية، اقتصادية وقانونية، وجميعها المعوقات تتداخل فيما بينها، ومن الصعوبة الفصل بينها. وما سنبحثه هنا من جملة هذه المعوقات هو الجانب القانوني، باعتباره الجانب الذي يحدد العلاقة بين الأفراد، وسنسلط الضوء على وضع المرأة في التشريعات السورية، ولا شك هناك صور متعددة لظلم المرأة في القوانين السورية، من قانون العقوبات، إلى قانون الجنسية، وانتهاء بقانون الأحوال الشخصية، وسنتناول هذه المواد التي تنطوي على التمييز لحقوق المرأة في قانون الأحوال الشخصية الصادر بالمرسوم التشريعي رقم /59/ لعام 1953، إذ لا يمكن شمل قانون الأحوال الشخصية ضمن القانوني المدني، وذلك نتيجة التنوع الديني في مجتمعاتنا. إن التوظيف السياسي سواء كان من قبل السلطات الحاكمة أو الحركة الإسلامية السياسية يقف عائقاً أمام إعادة النظر في الكثير من مواده. إن شمول قانون الأحوال الشخصية في القانون المدني بحاجة إلى مجتمع مدني حقيقي، وليس فقط لناشطين أو حقوقيين.. ولا بد من موافقة المجتمع بشكل كامل، إذ إن «القوانين هي ترجمة لإرادة المجتمع وقوننة لهذه الإرادة».

إن تعديل قانون الأحوال الشخصية لا يتم بمرسوم جمهوري أو بمشروع يذهب به إلى قبة البرلمان «مجلس الشعب»، بل يحتاج إلى حشد جماهيري وحملات مجتمعية أهلية منظمة، ومؤتمرات توعية لمندرجات قانون الأحوال الشخصية.. وفتح حوار مع معارضيه للتوصل إلى صيغة توافقية بين الجميع، «إن تعديل القانون يحتاج ثقافة مجتمعية».

نعود إلى تسليط الضوء على قانون الأحوال الشخصية وتوضيح المواد التمييزية التي لا تنصف المرأة، ومنها على سبيل المثال ما يتعلق بالولاية، الوصاية، الطلاق بأنواعه، الحضانة، العدة، النفقة، الشهادة وتعدد الزوجات.

الولاية:

تتمتع المرأة بولاية ناقصة، فهي لا تستطيع أن تزوج نفسها إلا بإذن وليها وإن كانت بالغة، المادة (88) من قانون الأحوال الشخصية السوري تنص على «أن الزواج يتوقف على إجازة الولي.. فإذا أجاز الزواج عُدَّ نافذاً، وإذا رفض عُدَّ باطلاً». و«في حال تم الدخول دون إجازة ولي الأمر في هذه الحالة يعد زواج المرأة بحكم الفاسد». وللولي أن يطلب فسخ النكاح طبقاً لنص المادة (27) من القانون نفسه: «إذا زوجت الكبيرة نفسها من غير موافقة الولي، فإن كان الزوج كفؤاً ألزم العقد، وإلا فللولي طلب فسخ النكاح»، والمقترح بتعديل هذه المادة، أن تعطى للمرأة ولاية كاملة تخولها الحق في تزويج نفسها.

أما المادة (21) من قانون الأحوال الشخصية، فتنص على أن «الولي في الزواج هو العصبة بنفسه على ترتيب الإرث بشرط أن يكون محرماً». وهذه المادة أيضاً تنتهك حق المرأة بشكل كامل، إذ يترتب عليها إذا أرادت الزواج بعد وفاة زوجها، أو طلاقها منه ولها ولد بالغ راشد أن يكون وليها هو ابنها ومن بعده حفيدها، وإذا لم يوجد أو كانت بكراً، فأولياؤها بالترتيب: الأب فالجد الصحيح، فلو كان للمرأة حق يتضمن الحقوق الشرعية والقانونية التي تحترم إنسانيتها ودورها في المجتمع الإنساني، لما كانت هذه المادة في قانون الأحوال الشخصية السوري. وعلى خلاف ذلك سار المشرع التونسي في تطوير نظام الأسرة واعتبار المرأة أهلاً لتزويج نفسها دون ولاية من أحد.

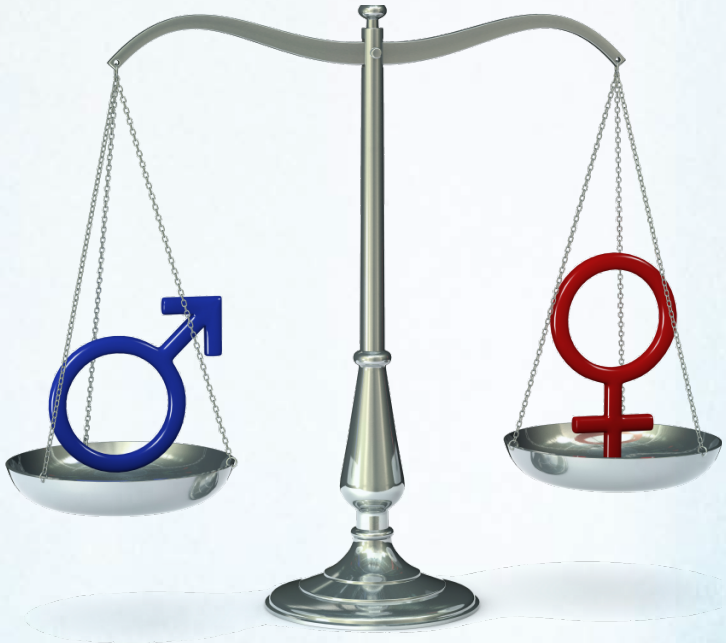

تعدد الزوجات:

المادة (17) من القانون المذكور تنص على أن «للقاضي ألا يأذن للمتزوج أن يتزوج على امرأته إلا إذا كان لديه مسوغ شرعي، وكان الزوج قادراً على نفقتها»، وهذا إقرار صريح وواضح من المشرع في الزواج من أكثر من امرأة والجمع بينهن بالشروط المذكورة بنص المادة، وهي إمكانية الإنفاق، موافقة الزوجة الأولى وتوفير مسكن مستقل. لكن كل هذه الشروط يتم الالتفاف عليها عملياً وعدم تطبيقها، إذا كان بإمكان الزوجة الثانية إقامة «دعوى تثبيت زواج» أمام المحكمة الشرعية المختصة دون التقيد بالشروط التي أوردها المشرع. والجدير بالذكر هنا أن المشرع التونسي منع تعدد الزوجات.

المادة (19) تقول: «إذا كان الخاطبان غير متناسبين سناً، ولم تكن في هذا الزواج مصلحة، فللقاضي ألا يأذن به»، هذه المادة أفرغت الزواج العرفي من مضمونه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى هي لا تحترم إرادة وحرية الزوجين في الاختيار، وتناقض أساس المبدأ الذي يقوم عليه عقد الزواج، وهو الإيجاب والقبول.

أيضاً من المواد التمييزية، المادة (73) التي تنص على: «يسقط حق الزوجة في النفقة إذا عملت خارج البيت دون إذن زوجها».

الوصاية على الأطفال والحضانة:

صدر قانون بتعديل سن الحضانة والذي يضمن حضانة الطفل الذكر حتى سن /13/ سنة بدلاً من /9/ سنوات، والطفلة الأنثى /15/ سنة بدلاً من /11/ سنة.

والحضانة في قانون الأحوال الشخصية هي حق وواجب، ولم ينص قانون الأحوال الشخصية السوري على إجبار الأم على الحضانة، حيث أخذ بالمذهب الحنفي الذي يفتي بإجبار الأم على الحضانة إذا لم توجد للطفل حاضنة غيرها من المحارم، وإذا تعدد أصحاب حق الحضانة، فللقاضي حق اختيار الأصلح.

نجد بأن هذه المادة لم تراع حق اختيار الأم في حضانة طفلها، وقُيّد هذا الحق باختيار الأصلح بصلاحيات المحكمة وتقديرها، ما يشكل إجحافاً بحق الحاضنة والمحضون معاً.

والمادة الأكثر إجحافاً بحق الأم بأمومتها وبحق المحضون، هي المادة (318) من قانون الأحوال الشخصية، إذ تنص على «أن زواج الحاضنة بغير قريب محرم من المحضون يسقط حضانتها».

تقييد حرية الحركة والسكن:

المادة (66) تنص على الآتي: «على الزوجة بعد قبض معجلها أن تسكن مع زوجها».

المادة (74): «إذا نشزت المرأة فلا نفقة لها».

المادة (75): «الناشز هي التي تترك دار الزوجية بلا مسوغ شرعي أو تمنع زوجها من الدخول إلى بيتها قبل طلبها النقل إلى بيت آخر»، كما تنص على: «تجبر الزوجة على السفر مع زوجها.. إلخ».

المادة (148/1): «ليس للأم أن تسافر بولدها أثناء الزوجية إلا بإذن أبيه».

كل هذه المواد هي قيود على حرية الحركة والتنقل، وتحتاج إلى تعديلات تنصف المرأة وتحترم حقوقها وإرادتها، وهو النهج الذي نهجه المشرع التونسي في ضمان حق حرية التنقل والسفر وتحمل المسؤوليات.

الطلاق:

هو إنهاء الرابطة الزوجية، وقد نظم قانون الأحوال الشخصية أحكام الطلاق وآثاره في المواد من (85 – 127)، وقبل أن نأتي على سرد المواد، لا بد من الإشارة إلى أنواع الطلاق:

1. الطلاق بإرادة الزوج المنفردة.
2. المخالفة الرضائية (الطلاق على بدل باتفاق الزوجين).

تنص المادة (85) من قانون الأحوال الشخصية السوري على «أن يكون الرجل متمتعاً بالأهلية الكاملة للطلاق في تمام الثامنة عشرة من عمره»، نجد أن هذه المادة أعطت الحق للزوج وحده بإيقاع الطلاق بإرادة منفردة بغض النظر عن الدواعي والأسباب، بينما لا تملك الزوجة هذا الحق بموجب نص هذه المادة، وما عليها إذا أرادت الطلاق إلا أن تقيم دعوى بذلك أمام المحاكم الشرعية المختصة، وضمن شروط وقيود محددة وإجراءات معقدة وطويلة.

أما المادة (87 الفقرة 2)، فتنص على أن «للزوج أن يوكل غيره بالتطليق، وأن يفوض المرأة بتطليق نفسها»، ورغم إيجابية هذه المادة بالنسبة للمرأة، إلا أن الأعراف والتقاليد الموروثة أفرغتها من مضمونها وجوهرها، إذ لا تجرؤ المرأة على طلب إدراج هذا الشرط في عقد الزواج،

كما أن الزوج لا يقبل بمثل هذا الشرط.

الطلاق التعسفي المادة (117): تنص على أنه «إذا طلق الرجل زوجته وتبين للقاضي أن الزوج متعسف في طلاقها دون سبب معقول، وأن الزوجة سيصيبها بذلك بؤس وفاقة، جاز للقاضي أن يحكم على مطلقها بحسب حالة ودرجة تعسفه، بتعويض لا يتجاوز مبلغ نفقة ثلاث سنوات لأمثالها فرق نفقة العدة، وللقاضي أن يجعل دفع هذا التعويض جملة أو شهرياً بحسب مقتضى الحال».

نجد أن المادة (117):

1. اشترطت الحكم بالتعويض شرط تحقق وقوع الزوجة في بؤس وفاقة، وهو ما يصعب إثباته أمام المحاكم، وبالتالي عدم استفادتها من التعويض.
2. كما أنها حددت سقف التعويض بثلاث سنوات مهما كان القرار بالغاً.
3. وأجازت للقاضي أن يحكم بأقل من ثلاث سنوات، كما أن نص المادة يجيز للقاضي تقسيط مبلغ التعويض.

كل ما أتى في حرفية نص المادة (117) يشكل ظلماً كبيراً للمرأة، خاصة أن الرجل يستخدم حقه بالطلاق دون أي سبب.

ونوضح أن العصمة يمكن أن تكون في يد المرأة وفق نص المادة (187) في حال الاشتراط في عقد الزواج، ولكن ذلك لا يعيق قدرة الزوج على الطلاق. وإن قدرة المرأة على تطليق نفسها لا تعني عدم قدرة الرجل على الطعن بهذا الطلاق، وإعادتها إلى منزل الزوجية وإلزامها بالمتابعة، وفي حال عدم رضوخها لذلك، تعتبر ناشزاً وتفقد حقوقها الزوجية. إضافة إلى أن الزوجة بإمكانها الطعن بالطلاق وفقاً لنص المادة (117)، وضمن إجراءات تقاضي معقدة وطويلة.

الطلاق الرجعي – مراجعة المطلقة بدون رضاها:

تنص المادة (118 / الفقرة 1) على أن «الطلاق الرجعي لا يزيل الزوجية، وللزوج أن يراجع مطلقته أثناء العدة بالقول أو

الفعل، ولا يسقط هذا الحق بالإسقاط».

نلاحظ في هذه المادة كم الإجحاف بحق المرأة المطلقة، من خلال تجاهل إرادتها ورغباتها، فهي لا تستطيع الامتناع عن العودة إلى مطلقها أثناء العدة، بينما يستطيع الزوج مراجعتها دون رضاها، وهو ما يخالف الأصل في إبرام عقد الزواج، وهو «الإيجاب والقبول».

أما المشرع التونسي، فقد اعتبر التراضي مبدأ أساسياً لقيام عقد الزواج وإخضاع الطلاق لمراقبة القاضي، أي لا يمكن للزوج في القانون التونسي أن يطلق بإرادة منفردة.

المسكن:

حرم المشرع في قانون الأحوال الشخصية السوري الزوجة مع أولادها من مسكن الزوجية عند إنهاء الحياة الزوجية لسبب من الأسباب، وفي ذلك تمييز كبير وعنف لا حدود له تجاه

هذه الإنسانة التي قد يكون نصيبها من التعب في بناء مسكن الزوجية أكثر من الرجل بما لا يقاس. لهذا ذهب المشرع التونسي إلى إقرار نظام الاشتراك في الأملاك بين الزوجين كنظام تكميلي اختياري، وفيما يتعلق بالعقارات دون المنقولات، وعلى أن يشترط ذلك في عقد الزواج، القانون التونسي رقم/61/ لعام 1998.

العدة:

المادة (127): انتقال المرأة المطلقة في حالة وفاة الزوج من عدة الزواج الرجعي (ثلاثة أشهر) إلى عدة الوفاة (أربعة أشهر وعشرة أيام) هو إضرار بالمرأة المطلقة وإطالة لمدة العدة، وبالتالي تمييز بحقها، دون وجود أي مبررات قانونية أو شرعية بذلك، وخاصة مع تطور العلم والطب ووجود الوسائل التي تبرر براءة الرحم.

من خلال هذا السرد البسيط، يتضح لنا أن قانون الأحوال الشخصية السوري يمس حياة الناس بشكل مباشر منذ الولادة، مروراً بمرحلة الطفولة، امتداداً إلى ما بعد الوفاة، وما ينجم عن ذلك من آثار وعلاقات متشابكة، كالنسب والميراث.. إلخ، كل ذلك يحتاج إلى عمل كبير تشارك فيه كل أطياف المجتمع.

وما نقترح من توصيات هو:

– ضرورة العمل على مراجعة القوانين الدولية لحقوق الإنسان، وسن تشريعات تحقق الإنصاف والمساواة بين أفراد المجتمع.

العمل على إلغاء تحفظات النظام السوري على اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة «السيداو»، وتعديل القوانين الداخلية بما يتلاءم مع هذا الإلغاء.

– إيجاد منظمات نسوية مستقلة غير تابعة للنظام، ليتسنى لها القيام بدور التوعية والدفاع عن حقوق المرأة، حتى لا تكون أداة بيد السلطة السياسية.

– وبما أننا نمر في سوريا بمرحلة تغيير، فلا بد من التنويه بأن أي ثورة لا تعنى بحقوق المرأة وإنصافها هي ليست ثورة، بل استبدال استبداد باستبداد أخطر.

سيمون دو بوفوار
رائدة حركات التحرر والدفاع عن حقوق المرأة

• فريق تحرير سيدة سوريا

إحدى رائدات الحراك النسوي في العالم ومن أوائلهن، ولدت دوبوفوار في باريس في 9/1/ 1908، لأسرة كاثوليكية ميسورة. تلقت تعليمها الابتدائي في مدارس باريس الخاصة، حيث ارتادت معهداً دينياً منذ سن السادسة حتى سن الرابعة عشرة إذ انسحبت منه بعد أن «فقدت إيمانها»، ليكون هذا الانسحاب مقدمة تحولها إلى اليسارية.

حصلت دوبوفوار على رتبة الأستاذية بالفلسفة عام 1929 وعينت أستاذة لتدريس الفلسفة، لكنها استقالت عام 1943.

ارتبط اسم سيمون دوبوفوار بقضية الدفاع عن حقوق المرأة منذ وقت مبكر في حياتها، ونادت بحق النساء في اتخاذ القرار ورفض الأوضاع التي تظلمهن، ساندت حركات تحرر المرأة في مختلف أنحاء العالم، وكانت لها مساهمة في مؤتمر حركة السلام الذي عقد في مدينة هلسنكي.

أما عن أعمالها، فقد أصدرت دوبوفوار روايتها الأولى «المدعوة» عام 1943، وفي عام 1945 أصبحت عضواً في اللجنة الأولى لإصدار مجلة «الأزمنة الحديثة». وبين عامي 1943، 1946 أصدرت دوبوفوار مجموعة من الروايات هي (العنيفة، أنت لتبقى، دم الآخرين، أفواه والجنس الثاني)، تمحورت كلها حول قضية الحريات في مواجهة المسؤولية وإمكانية التضحية الحقيقية من أجل الصالح العام، وأوضاع المرأة في العصر الحديث، وقد أثارت روايتها «الجنس الثاني» جدلاً واسعاً.

كما كتبت ما بين عامي 1958-1974 سيرتها الذاتية في أربعة أجزاء: «مذكرات ابنة مطيعة» عام 1958، «ربيع الحياة» و«قوة الظروف» عام 1960، وأخيراً «كل شيء قيل وحدث» عام 1974، وقد أرخّت سيمون لثلاثين عاماً من الحياة الفكرية في فرنسا.

قامت سيمون دوبوفوار برحلات عديدة إلى دول أوربية عديدة، الصين، البرازيل، الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية.

أما الفيلسوف الوجودي «جان بول سارتر»، فقد تعرفت به عام 1926 في جامعة السوربون حيث بدأ التواصل الفكري بينهما، فكانا يقضيان الوقت في محاورات ومناقشات فلسفية عميقة ومطولة، لتتحول الصداقة الفكرية إلى علاقة حب، فدخلا في شراكة فكر وحب لم تنته إلا بالموت. وقد ارتبطت سيمون بسارتر بعلاقة حب سرية لم تتكشف إلا بعد وفاتهما، كما ارتبطت سيمون بعلاقات أخرى لكنها لم تمتد لفترات طويلة كعلاقتها بالأديب الأميركي «نيلسون ألفرين»، كذلك كان سارتر، وكانا في نهاية المطاف يعودان ليلتقيا.

يذكر أن سيمون دي بوفوار المثقفة والناشطة الثقافية والسياسية لم تحبس نفسها في حيز النسوية، فرغم رؤيتها الخاصة التي امتازت بها أطروحاتها في كتاب «الجنس الثاني»، ورغم النجاح الواسع الذي حققه الكتاب، إلا أنه كان مجرد محطة في مسيرة دي بوفوار الغنية.

كان من بين إنجازاتها المهمة مشاركتها في تأسيس مجلة «الأزمنة الحديثة» التي أسستها مع سارتر ونخبة من المثقفين الفرنسيين، لتتحول في سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية إلى منارة للفكر المتحرر ومنصة للمناقشات الفلسفية.

نالت روايتها «المثقفون» (1954) جائزة غوزكور، وفي هذه الرواية تظهر سيمون نفسها في دور الزوجة التي تعمل محللة نفسانية. كما يظهر سارتر وألبير كامو بالقسط الأدنى من التمويه، الرواية التي تزخر بالحوارات الفلسفية ليست سيرة ذاتية. لكن شخوصها حقيقيون وأهميتها تأتي من قدرتها على التغلغل في أعماق الوسط الثقافي الفرنسي أو ما كان يعرف ب «الضفة الغربية». وقد تمكنت دي بوفوار بفضل معايشتها لذلك الوسط وحساسيتها المفرطة في التقاط سماته ومميزاته، أن تجعل من هذه الرواية صرحاً يخلد الحياة الثقافية في حقبة ما بعد الحرب في فرنسا ويعكس الصراع بين أبراج المثقفين العاجية وبين الحاجة الى مشاركة فعالة من قبلهم في النضال السياسي.

من بين كتب دي بوفوار المهمة كتابها «الشيخوخة» الذي صدر عام1970، وقد أعطت فيه دي بوفوار للشيخوخة ما سبق لها أن اعطته للنساء في كتاب «الجنس الثاني»، تناولت موقف الحضارات المختلفة من التقدم في السن وكيف يستحيل الإنسان بفعل الشيخوخة إلى كم مهمل لا دور له سوى انتظار الموت. وهو أول كتاب جاد يكسر حاجز الصمت المفروض على هذا الجانب من المعاناة الإنسانية.

توفيت في 14 نيسان 1986، تاركة وراءها إرثاً متميزاً في حقلي الفلسفة والتحرر.

صحة جنسية

• د. راميا مستو

مع اتساع حضور وسائل الإعلام والاتصال، كالبرامج التلفزيونية وصفحات الإنترنت والهواتف المحمولة، ودخولها إلى حياة كل شخص ضمن الأسرة الواحدة، بشكل خاص ومنفرد وبعيداً عن مراقبة الأبوين، أصبح من الضروري طرح قضية التثقيف الجنسي بطرق مدروسة في الأسرة والمدرسة، وأن لا يقتصر الدور على وسائل الإعلام، التي غالباً ما تعرض هذه البرامج بغاية التسويق وبيع المنتجات، وليس تزويد اليافعين والشباب بما يحتاجون معرفته لحياة جنسية صحية ومفيدة.

وفي ظل الانفتاح الواسع الذي يشهده المجتمع العربي يوماً بعد يوم، أصبحت التربية الجنسية ضرورة لتزويد المجتمع، بكافة شرائحه، بكل ما تجب معرفته عن الجنس، لضمان سلوك جنسي متوازن يحقق الاستقرار الجسدي والروحي للأفراد، ويحميهم من الاستغلال والاغتصاب والأمراض المنقولة جنسياً، إضافة إلى الحمل غير المقصود، وما يتبعه من عملية إجهاض أو ولادة أفراد مجهولي الهوية، وما إلى ذلك من نتائج سلبية على الفرد والمجتمع.

إن مفهوم التربية الجنسية عند الكثير من العائلات يقتصر على بعض الأمور، كمعرفة البلوغ، وكيف يتم الإخصاب والولادة، إلا أن موضوع التربية الجنسية أوسع وأشمل، ويحتاج لمنهاج مدروس بما يتناسب والتطورات الجسدية، العاطفية والفكرية للأفراد. لقد بينت أحدث الدراسات أنه يجب البدء بالتربية الجنسية في السنوات العمرية الأولى، فالطفل بعمر السنتين يجب أن يكون قادراً على تسمية جميع أعضاء جسمه، بما في

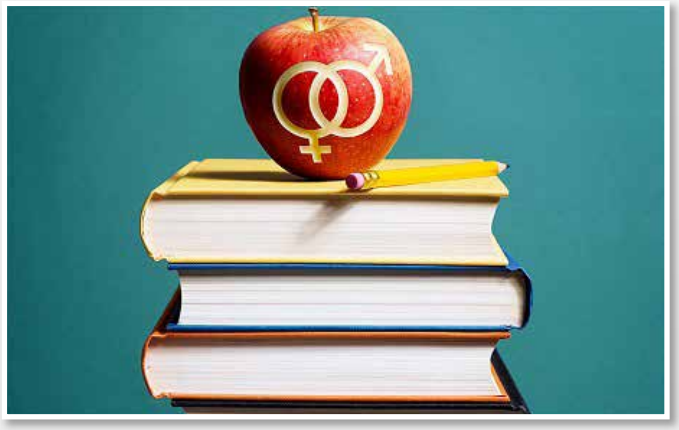

ذلك التناسلية منها، ويجب أن يعرف الفرق بين الذكر والأنثى.

وفي مرحلة الطفولة المبكرة يبدأ الطفل بالاستفسار عن الحمل وكيفية الإنجاب، وفي هذه المرحلة يجب أن يعطى الطفل خطوطاً عريضة عن عملية الإنجاب، وأن المولود يأتي من الأبوين، وينمو في رحم الأم. ولا مانع من معرفة الطفل لبعض الأمور عن عملية الولادة فيما لو تشكل عنده هذا التساؤل. ويجب عدم لفت انتباه الطفل لأي موضوع لم يكن قد شكل عنده أي استفسار، ومن جانب آخر لا يجب أن تهمل تساؤلات الأطفال، إذ لا بد من مناقشتها بطريقة مفهومة ومقبولة لديهم. ولعل أهم ما يجب تعليمه للأطفال في هذه المرحلة هو خصوصية أجسامهم، وأن الآخرين يجب أن لا يلمسوا هذه الخصوصية بأي طريقة، فلا بد أن يعي الطفل مسؤوليته عن حماية جسمه وعدم السماح للآخرين بضربه، أو التقرب منه أو العبث بجسمه، وهنا لابد من التأكيد على أن فهم الطفل لخصوصية جسمه تحميه من التحرش الذي يتعرض له الأطفال في هذه المرحلة.

أما في مرحلة الطفولة المتوسطة، فلا بد من توضيح أكثر عن العلاقة الزوجية، ومفهوم استمرار النسل، وعلاقته المباشرة باقتران الزوجين ووجودهما معاً. كما يجب تعليم الطفل مسألة خصوصية الآخرين واحترامها (كأن يستاذن قبل الدخول)، إذ إنه في مراحل عمرية سابقة أدرك خصوصية جسمه، وأصبح مفهوم العري عنده أكثر وضوحاً، وهنا يتعلم الطفل احترام الآخرين في العلاقات. ولا بد من وعي الطفل مع نهاية هذه المرحلة بكل الأساسيات المتعلقة بتطورات البلوغ، خاصة أن علامات البلوغ تظهر عند العديد من الأطفال قبل سن العاشرة.

أما عن المراحل المتقدمة، فلا بد من إعطاء شرح أكثر وتفاصيل أدق عن الأمور المتعلقة بالجنس، إذ يجب شرح الجنس الآمن وإعطاء صورة عن الأمراض المنتقلة بالجنس، وعن ضرورة استخدام الواقي الذكري ووسائل منع الحمل، وشرح معنى الخصوبة والإباضة والجماع، إضافة إلى الطمث والالتهابات، وإعطاء إجابات واضحة عن الجنس الشرجي الذي يعتبر شائعاً في هذه المرحلة، إضافة إلى إعطاء صورة صحيحة عن الجنس

والحياة الجنسية، كما هي في الحقيقة، لا كما تصورها وسائل الإعلام كونها أشد ما يتأثر به الطفل اليافع في هذه المرحلة.

قد يظن البعض أن مناقشة هكذا تفاصيل في هذه المرحلة العمرية مبكر نوعاً ما، والحق أن الأبوين هما الأكثر قدرة على تحديد النمو الروحي والنفسي لأطفالهم، إضافة إلى أن مسؤولية الأبوين هي إيجاد الإجابات لأطفالهم في المراحل الأولى لتشكل الاستفسارات، قبل أن يلجأ الطفل لصديق أو يحصل على الإجابة بطريقة أخرى.

ولعل دور التربية الجنسية يبدو جلياً في مرحلة المراهقة، التي تعتبر الأكثر حساسية، فالجنس أصبح أكثر وضوحاً عند المراهق، إضافة إلى أنه وجد إجابة لمعظم استفساراته. وفي هذه المرحلة يبدو دور التربية الجنسية جلياً، لمساعدة المراهق على تقوية ثقته بنفسه لاتخاذ قرار إنشاء العلاقة، مع حفظ احترامه لذوات الآخرين، مشاعرهم، أجسامهم وقراراتهم.

إن مناقشة الجنس مع المراهقين في هذه المرحلة هو نوع من الاتصال المفتوح بين المراهق وأبويه، تتيح له فرصة التحدث عن التجارب الأخرى التي قد يتعرض لها، كتعاطي المخدرات والكحول والعلاقات الجنسية مع الطرف الآخر

أو المثلية، إذ تعتبر العلاقات المثلية هي الأكثر شيوعاً في هذه المرحلة العمرية، وبهذا سيحتمي المراهق بوالديه عندما سيواجه صعوبة أو خطورة في علاقاته. وهنا لابد من الإشارة إلى مخاوف الوالدين من طرح موضوع الجنس مع أبنائهم في هذا العمر، إذ يجدون أن تناول هذا الموضوع قد يثير رغبة لاستطلاع لدى اليافعين ويدفعهم إلى خوض التجربة الجنسية، إلا أن هذه المخاوف لا قيمة لها، فاليافع سيبحث عن إجابة لاستفساراته بطرق أخرى غالباً ما ستكون غير صحيحة. إضافة إلى أن التربية الجنسية لا تقتصر على الجنس وكيفية ممارسته، بقدر اهتمامها بتوضيح الجنس الآمن والطبيعي، وتحديد عدد الشركاء.. وغير ذلك من الأمور التي من الواجب على اليافع معرفتها.

لا بد إذن من التأكيد على أن الحديث بين الأبوين وأطفالهم عن الأمور الجنسية منذ الطفولة هي الاستراتيجية الأفضل للتربية والتثقيف الجنسي، فهي تساعد على إعطاء المعلومات الصحيحة والضرورية، منذ مرحلة الطفولة وحتى المراهقة، كما أنها تساعد الشباب ليكونوا آمنين صحياً واجتماعياً، فضلاً عن أنها تزودهم بالمعلومات اللازمة لحياتهم الجنسية، وتطمئن الوالدين أن أطفالهم لن يتلقوا تلك الثقافة من الأشخاص غير المناسبين ولا بطرق غير مناسبة.

إن الأطفال الذين يتلقون التربية الجنسية في المنزل، هم في الواقع أقل عرضة للانخراط في النشاط الجنسي المحفوف بالمخاطر، وعليه فلا بد من التركيز على هذا الجانب التربوي المهم، والذي يجب أن يبدأ من الأسرة بالدرجة الأولى، بعيداً عن وسائل الاتصال والأصدقاء، والتأكيد على دور المدارس التي يجب أن تطرح هذا الموضوع بطريقة ممنهجة ومدروسة.

ازدياد انتشار مرض التيفوئيد خلال الأزمة السورية

• هادية الخطيب

ما هو مرض التيفوئيد؟

هو مرض وبائي معدٍ, يعرف بحمى التيفوئيد, تسببه بكتيريا «السالمونيلا تايفي», تموت هذه البكتيريا بالغليان، لكنها تقاوم الجفاف والتجميد، وتستطيع أن تعيش في الماء لعدة أيام, ويمكنها التكاثر داخل الحليب ومشتقاته,كما يمكن لحاملي هذا المرض أن ينقلوا العدوى إلى أشخاص آخرين قبل أن تظهر عليهم أعراض المرض.

كيفية انتقال المرض:

ينتقل التيفوئيد من الفم إلى الأمعاء عن طريق الطعام أو الشراب الملوث ببول أو البراز المصاب بهذا المرض, أو يمكن أن ينتقل من اليد إلى الفم عند ملامسة مرحاض ملوث بهذه البكتريا وعدم غسل اليدين جيداً, فيحدث التهاب بالأمعاء، ويمكن أن تصيب الكبد والطحال والجهاز اللمفاوي.

أعراض المرض

تظهر الأعراض على المصاب بعد انتقال العدوى إليه على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: خلال الأسبوع الأول

- ارتفاع حرارة الجسم بشكل تدريجي يستمر لمدة أسبوع، وتكون درجة الحرارة مرتفعة تصل إلى 40 درجة مئوية.
- صداع
- احتقان في الحلق
- ألم في البطن
- ضعف وإرهاق
- إقياء
- إسهال أو إمساك مع انتفاخ في البطن

المرحلة الثانية: خلال الأسبوع الثاني من الإصابة

- تظهر بقع زهرية اللون على الجلد
- هذيان
- نقص في الوزن وجفاف
- انخفاض في ضربات القلب
- احتمالية حدوث تضخم بالطحال

المرحلة الثالثة: خلال الأسبوع الثالث

إن لم تحصل مضاعفات أخرى بسبب عدم العلاج، فستزول هذه الحمى تدريجياً ويتعافى المصاب بالتيفوئيد.

المضاعفات التي يمكن أن تحصل بسبب التيفوئيد:

- فقدان الوعي وجفاف شديد.
- التهاب بالكلى والحويصلة المرارية وجهاز التنفس والجهاز العصبي.
- نزيف معوي شديد يؤدي إلى حدوث ثقب في الأمعاء.

تشخيص المرض

هناك عدة وسائل لتشخيص المرض، وذلك عن طريق أخذ عينة دم أو براز، وزراعتها لمعرفة الجرثومة المسببة للمرض. أو عن طريق أخذ عينة من نخاع العظم، ومن خلال هذه العينة يمكن كشف الجرثومة، حتى وإن كان المريض يأخذ مضادات حيوية.

علاج المرض

- يجب على المريض تناول المضادات الحيوية

فيروس التيفوئيد

المناسبة لهذه البكتيريا.

– تناول السوائل بكثرة لتعويض الجسم ما فقده من سوائل, ولكن الحرص على أنت تكون السوائل مغلية ومعقمة.

– الراحة، ببقاء المريض في فراشه حتى زوال الحرارة.

– كمادات باردة لخفض الحرارة.

– تناول الأطعمة المغذية.

– إذا ظهر دم في براز المريض يجب نقله إلى المستشفى فوراً.

الوقاية من المرض

– الحرص على أخذ اللقاح ضد مرض التيفوئيد, هناك نوعين من اللقاح (اللقاح عن طريق الفم، واللقاح عن طريق الحقن تحت الجلد أو عضلياً).

– الامتناع عن شرب المياه وتناول الأطعمة الملوثة والحرص على تناول الأطعمة المطبوخة جيداً وشرب المياه بعد غليه وخاصة للمصابين أو للمناطق التي تكثر فيها حالات التيفوئيد.

– الحرص على النظافة الشخصية، والتأكد من غسل اليدين جيداً بعد الخروج من المرحاض.

– الحرص على أن تكون المراحيض بعيدة عن مصادر مياه الشرب.

– لضمان عدم انتشار العدوى، ينبغي عزل المصاب في غرفة خاصة، والامتناع عن استخدام الأطباق التي يستخدمها.

خطر التيفوئيد بين السوريين خلال الأزمة السورية

كثيراً ما تظهر الإصابات بمرض التيفوئيد بعد الفياضانات والكوارث، التي تؤدي إلى تلوث المياه والأطعمة.

وهذا ما يعاني منه السوريون في مختلف الأماكن ومخيمات اللاجئين التي ازدادت فيها الإصابات في الأسابيع الأخيرة، وذلك بسبب المياه الملوثة, لعدم وجود مياه جارية والاستعاضة عنها بمياه الآبار والأنهار, بالإضافة إلى تعطل كامل في شبكة مياه الصرف الصحي في بعض المناطق.

وما يزيد الوضع سوءاً عدم وجود علاجات وحلول للحد من انتشار المرض في هذه المناطق، بالتالي، يحتم على سكان هذه المناطق العلاج الذاتي, من توفير الراحة للمريض في الفراش والغذاء المناسب للمريض مثل السوائل الكثيرة المغلية.

كما أن هذه المناطق المكتظة بالسكان تفتقر للإجراءات الوقائية من هذا المرض، وذلك بسبب انتشاره بين السكان، وهو مرض معد، وبسبب عدم وجود حل لمشكلة المياه الملوثة وشبكة الصرف الصحي حالياً، فإن انتشار المرض يزداد، كما أن انعدام الدعم الطبي والأدوية للشفاء منه، يؤدي إلى وصول المصابين وحالتهم حرجة في كثير من الأحيان.

لذلك ينصح بمقاومة هذا المرض قدر الإمكان، بحسب مايتوفر لدى المصاب ومن حوله مثل:

– الحفاظ على النظافة الشخصية بشكل كبير ،من خلال الحرص على غسل اليدين دائماً بعد دخول المرحاض وبعد التعامل مع الشخص المصاب.

– عدم استخدام أطباق الشخص المصاب التي يأكل أو يشرب بها، وغسلها جيداً قبل استخدمها.

– محاولة عزل المصاب عن بقية الأفراد المحيطين به.

– توفير الراحة للمصاب، والاستمرار بوضع الكمادات الباردة له طوال فترة ارتفاع حرارته، وتوفير السوائل له باستمرار لتعويض فقدان السوائل.

– التأكد من غلي المياه جيداً قبل تقديمها للمصاب، ولمن يعيشون في نفس المنطقة.

لمزيد من الاطلاع نورد الروابط الآتية:

شبكة الأنباء الإنسانية -إيرين، انتشار الأمراض في سوريا بسبب انهيار شبكات المياه والصرف الصحي

http://www.dostor.org/679095

جريدة الدستور، د.محمد عفيفي: إهمال علاج التيفوئيد يسبب النزيف الدماغي

http://hfa.mawared.org/?q=node/3894

الصحة للجميع، حمى التيفوئيد

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AD%D9%85%D9%89_%D8%AA%D9%8A%D9%81%D9%8A%D8%A9

ويكيبيديا، حمى التيفوئيد

http://mawdoo3.com/%D9%85%D8%B1%D8%B6_%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%8A%D9%81%D9%88%D8%A6%D9%8A%D8%AF

القاموس الطبي، التيفوئيد

«الجحيم ليس بعيداً أبداً»

المسعفة التي تخاطر بحياتها من أجل حلب

• فريق ترجمة سيدة سوريا

أم عبدو واحدة من النساء السوريات اللواتي خرجن بفعل الثورة وقوتها من عباءة المرأة التقليدية، واستطعن الصمود في وجه النظام والحرب وقسوة الحياة في واحدة من أخطر المدن في العالم. لا لتكون مجرد امرأة صامدة في المنزل، بل مقاتلة ومسعفة ومنقذة حيوات. شخصية دفعت صحيفة «الغارديان» البريطانية للكتابة عنها والتحدث إليها وإلى آخرين مازالوا صامدين مثلها.

فقدت أم عبدو زوجها وابناً لها في الثورة السورية، لكن المرأة التي تتقلد مسدساً ترفض أن تهجر مدينتها التي تحتدم فيها المعارك. كلما سمعت صوت المروحية، تستنفر أم عبدو وتجمع عدتها الطبية وتهرع عبر أزقة حلب القديمة نحو المستشفى الوحيد في الحي. إنه الروتين اليومي: صوت دوران شفرات المروحية، صوت انفجار البرميل الذي تلقيه قوات النظام من الأعالي، وصوت خطوات أم عبدو إلى المبنى المؤلف من أربعة طوابق، والذي سيستقبل من دون شك ضحايا وأشلاء المجزرة. المبنى ليس آمناً بالطبع، فمعظم المباني الكبيرة حوله طمست ملامحها بسبب البراميل نفسها التي يزن الواحد منها نصف طن، حتى تشكل انطباع لدى الذين يعملون ويعيشون ويموتون داخل الجدران الملطخة باليود، بأنهم هم الهدف الحقيقي.

تقول أم عبدو وهي تستريح على نقالة مدولبة تُستخدم في نقل المصابين: «ليس الجحيم ببعيد أبداً»، فهي المرأة الوحيدة على الأرض، بلباسها الأسود تعمل إلى جانب ثلاثة شبان مرهقين في معالجة معظم ضحايا القصف على المنطقة.

مازالت أم عبدو صامدة لسبب آخر، ألا وهو المسدس الفولاذي الذي تحمله على جنبها، حتى أثناء تقطيب الجروح وتضميد إصابات المرضى بأناقة مستمدة من عملها السابق في خياطة أثواب الأعراس، لا تستطيع العمل بدونه. وتعترف بأن «إحقاق الحق هذه الأيام بات بمثابة كفاح شخصي بالنسبة لها».

كل من يبقى في الجزء الشرقي من المدينة المثقلة بالصراع لديه ما يقصه عن الحرمان والخسارة. ومعظم الناس مثل أم عبدو، وجدوا طريقة ما للتعايش مع الواقع في أرض الخراب هذه، حيث الوجود مستمر والحياة توقفت. تقول أم عبدو: «استخدمت السلاح، ومن ثم عالجت الجرحى». لم يعد هناك أهمية للتناقض هنا في عالم يأتي فيه الموت غالباً من السماء. البراميل المتفجرة، أقسى أنواع الأسلحة في الحرب السورية، وهي أيضاً القاتل الذي لا يميز بين الناس. بينما يتقدم النظام ببطء وانتظام، ويستمر في تضييق الخناق في خاصرة المدينة الشمالية الشرقية، بينما تفرغ قذائفه المدينة من المدنيين والمقاتلين والأمل.

قُتل ولدها يوسف في القصف منذ ثلاثة أشهر، وكان ذلك أثناء سفره إلى المستشفى الآخر الوحيد في شرق المدينة. يومها قتل الهجوم 35 شخصاً، وحفر حفرة كبيرة يصعب تمييزها اليوم تحت أكوام الأنقاض المنتشرة والتي يزيد ارتفاعها غالباً عن عشرات الأمتار.

تقول أم عبدو وهي جالسة في غرفة معتمة من بيتها الواقع على طرف المدينة القديمة: «كان ذلك اليوم أسوأ أيام حياتي». يقول عبد الله وهو ابنها الذي نجا والجالس بجانبها: «تشاركنا نفس السرير 17 عاماً، فعلنا كل شيء معاً، لعبنا وحلمنا وكبرنا معاً، ماذا يمكن للمرء أن يقول؟».

في الشقة الصغيرة التي تتشاركها مع أولادها، وضعت أم عبدو ثلاثة ألعاب من الدببة على مخدتها، علمين للجيش الحر وعلماً إسلامياً على الحائط فوق سريرها، ومسدسها على الفراش وأدويتها مجمعة بالقرب من السرير.

في الأيام الأولى من الثورة، والتي بعثت الأمل بداية لكنها أدت إلى ثلاث سنين من الحرب التي لا حدود لوحشيتها وعدد قتلى يقدر بأكثر من 200 ألف، قتل زوجها علي يد قناص تابع للنظام. وقبل ثمانية عشر شهراً، وبينما كانت تحاول أن تسحب مصاباً من مكان مهجور قرب منزلها، كادت أن تقتل، فقد اخترقت رصاصات القناص فمها وفخذها. تقول معلقة: «كانت الإصابة في اللحم، وكل شيء يعمل بشكل طبيعي الآن».

الثوار المقاتلون الذين يعملون جنباً إلى جنب مع أم عبدو في المدينة يقولون بأن خليط القتال والطبابة معاً فريد من نوعه في حالة أم عبدو، نادراً ما تجد شخصاً مثلها يجازف بحياته إلى هذا الحد وينقذ هذا العدد من الأرواح، كما أكد أحد القادة

المحليين والذي يدعى «أبو جود» ويساعد أم عبدو في تأمين الطعام لعائلتها. يخاطبها أبو جود قائلاً: «نحن مدينون لك كثيراً، وحلب كذلك مدينة لك». أولئك الذين بقوا في الجزء الشرقي من المدينة (حوالي خمسين ألفاً من أصل مليون شخص كانوا يعيشون هنا)، جميعهم يتحدثون بصراحة مقلقة عن أمهات وأخوة وآباء وأبناء قتلوا خلال الأحداث. يقول مقاتل من الجبهة الإسلامية رافعاً كتفيه: «أعدمت داعش ثلاثة من أقاربي، بعد أن أمسكوهم على حاجز تفتيش».

يجلس هذا المقاتل في دائرة مكونة من ثمانية رجال، كل منهم لديه قصة مشابهة لم يعتبروا بأنها تستحق المشاركة إلى أن تم سؤالهم عنها.

يقول مقاتل آخر: «قُتلت أختي العام الماضي في مدينة الباب، وابنها كذلك»، وأضاف بعد أن عرض على هاتفه صوراً لابن أخته: «لقد أحببته كثيراً». يقول رجل آخر بهدوء: «ماتت والدتي في منزلها ودفنتها كخمسة أجزاء، قالت لي بأنها تفضل الموت هنا على أن تعيش ذليلة في تركيا».

كثيرة هي الخسارات التي لا تنتهي في المستشفى. يقول جراح عصبي مصري يحاول يومياً معالجة المصابين الأكثر تضرراً: «معظم من يعالجون في هذه المستشفى يصلون ممزقين، لكنني لا أملك جهاز أشعة مقطعية يعمل. هل يمكنك أن تتخيل مدى صعوبة القيام بعمل جراحي دون وجوده؟». ولكن مع ذلك حقق هذا الجراح بعض النجاح، فقد عالج منذ مدة مدنياً تلقى رصاصة في الرأس اخترقت الدماغ، لكن الآن بإمكانه أن يتحدث ويتفاعل مع من هم حوله بصعوبة، وكذلك مع ابنته التي تبلغ من العمر خمسة أعوام وتجالس والدها على السرير المقابل له. وبالقرب منهم امرأة في الثلاثين من عمرها تعاني من جرح بليغ في الفخذ بسبب قذيفة وليس برميلاً متفجراً.

تتساقط العديد من القذائف العشوائية على حلب القديمة يومياً. لاحقاً في ذلك اليوم حدث انفجار يصم الآذان بجانب كشك الفواكه، فلا البائع ولا المشتري يهتمان بما حدث، بل ويتمان عملية البيع والشراء بسلاسة. الفاكهة معبأة في سلات مرتبة، البرتقال والتفاح والموز والشمام، نابضة بالحياة على عكس حلب الكئيبة في بداية الشتاء، إنها صدمة مفاجئة من الألوان الزاهية على خلفية رمادية. إن أولئك القادرين على شراء الطعام لا يموتون جوعاً، لكن المدينة كلها مدمرة تقريباً.

عند سؤال ابراهيم خطان (48 سنة) الصامد في حلب مع أطفاله السبعة عن سبب بقاء الناس هنا أجاب: «لقد ولدت هنا وسأموت هنا، وإن حاصرونا فسنزرع البطاطا في الحقل ونأكل الدجاج»، وأشار لمجموعة من الدجاج والبط الذين تقوم ابنته بإطعامهم عند حائط الجامع. وأضاف: «العالم بدون أطفال لا معنى له، أكبر أطفالي بعمر العشرين وأصغرهم عمره ثلاثة أشهر. لا يمكنني أن أخرجهم من هنا».

قريباً من هنا تحمي الجبهة الإسلامية عيادة ميدانية تعالج بها المقاتلين الجرحى على إثر اشتباكات مع جنود النظام حول القلعة الأثرية على بعد ميل أو أقل. تأتي أم عبدو إلى هنا بشكل دوري، عبر الطريق المرصوفة بأحجار مبتلة بالمطر لتعتني بأبي أسد، وهو قائد محلي يتعالج من إصابة بطلق ناري في الفخذ.

تتحدث أم عبدو عن نفسها قبل الثورة: «قبل الأحداث كنت أعمل خياطة فساتين أعراس، عائلتي بكاملها من هذه المنطقة، هذا المكان مرتبط بهويتي». وعند سؤالها عن السبب الذي قد يغير رأيها ويدفعها للذهاب مع من تبقى من أبنائها، الذي يعمل أحدهم معها في نفس المستشفى، إلى بر الأمان في تركيا، أجابت أم عبدو قائلة: «إذا لم تتحد مجموعات الثوار المقاتلة للنظام، سأقتل نفسي». فيرد عليها أحد المتفرجين مستغرباً: «هذا لن يحدث يا أختي». فتجيبه بابتسامة نادرة الوجود في هذا المكان: «أنت محق، لكن عليهم أن يتحدوا جميعاً. جميعنا نحتاج أن ندعم بعضنا البعض».

لاحقاً في تلك الليلة انجلت الغيوم التي منعت مروحيات النظام من التحليق في أجواء حلب، وزاد خطر الهجمات بالبراميل المتفجرة. بينما يمهد الفجر الطريق لضوء النهار، بدا أن توقُّف سيارة إسعاف صفراء فاقعة بقرب المستشفى هو دلالة مناسبة للطائرات لقصف المشفى بسهولة. مع ذلك بقيت السماء فارغة، وتردد صوت توقف عمل المولدات التي تزود الحي بالكهرباء على طول الممر الضيق، ودفعت نسمة رياح الباب المكسور باتجاه الحائط الحجري. يتحرك المقاتلون الأماميون للجبهة الإسلامية ببطء في شوارع المدينة القديمة، وقد اتخذوا لهم ملجأ في دهليز ضخم بقرب معمل صابون ولافتة مطوية الزوايا تقول بأنه معلم أثري.

الملجأ الذي اختاروه يُعرف بأنه كان مستشفى للمعاقين عقلياً بُني عام 1354 ميلادية. يقول أحد الثوار في وسط الدمار والتشرد: «لا يوجد أحد مجنون هنا، أولئك المدنيون الذين مازالوا في الشوارع هم المجانين».

http://www.theguardian.com/world/2014/dec/02/-sp-female-medic-aleppo-syria-war-umm-abdu

سيرة قتال وحياة المرأة الكردية

• ريدي مشو

عند الكلام عن المرأة، يمكنني القول إن الحديث عن والدتي يختصر فصولاً طويلة من تاريخ وحضور المرأة الكردية في الحياة العامة والنضال، فقد حضرت في ساحات القتال بين الفلاحين في ستينات القرن الماضي إلى جانب والدي وعمي، وقاتلت بضراوة الرجال، حتى إنها أصيبت بطلقة من بندقية صيد أسفل عينها. كان والدي يغيب عن المنزل أو يبقى هارباً بسبب عمله السياسي آنذاك، وكانت هي تقوم بكل ما ينبغي أن يقوم به رب الأسرة، تستقبل العشرات من الرجال الحزبيين، وتقوم بواجبها على أكمل وجه وهي سعيدة، ومثلها المئات من الأمهات اللاتي لا يتوقف عطاؤهن لحظة واحدة. المرأة الكردية لا تتراجع خطوة إلى الوراء إن حضر الرجل، لا تخاف على نفسها بحضوره ولا تختبئ خلف الجدران، ولا يقودها إلا صيتها النضالي الطويل حينما كانت تدير شؤون القبائل والعشائر الكردية إلى وقت قريب من القرن المنصرم. وفي هذه الأيام يبدو أن صيتها بدأ يتعالى إثر وقوفها إلى جانب الرجل في أشد معارك الحياة قسوة، لتبرهن بذلك على أصالة انتمائها دون أن تتنازل عن حقوقها كامرأة في وجه الرجل. ولا يعني كلامي السابق أن الكرد يسبقون الشعوب الأخرى بكثير فيما يتعلق بقضايا المرأة، فالمرأة الكردية تعاني من التهميش ويقلل شأنها في كثير من الأحيان في ساحات الاقتصاد والعمل السياسي، وكذلك تعرضت للتعذيب، الضرب وحتى القتل، تحت مسمى «جرائم الشرف»، ولو بصورة أقل بكثير من المحيط العربي المجاور، لكن تبقى ميزة المجتمع الكردي في الانفتاح الاجتماعي بدرجة كبيرة على قضايا النساء، وعليه يمكننا القول إن المرأة في المجتمع الكردي يمكنها أن تختصر عدّة خطوات نحو تحررها وتتقدم بصورة أسرع، فليس هناك الكثير من الأعراف والتقاليد التي تحد من شأن المرأة اجتماعياً. وفي هذا الزمن الثوري ازداد انفتاح المجتمع على المرأة ونضالها بشكل كبير، والصورة الجلية هي الكفاح المسلح الذي تقوم به المرأة الكردية في المدن والبلدات الكردية ضد «داعش».

حضور المرأة في ساحات القتال عادة قديمة لدى الكرد، ولا أعني بذلك امرأة أو اثنتين، بل مجموعات كبيرة، ففي الأغاني الكردية هناك العديد من الملاحم التي تتحدث عن المرأة المقاتلة، التي بذلت حياتها لأجل قضيتها، ومنهن من تفوقن في النضال على الرجال وتعالت صورهن فوق صورهم.

تتميز مشاركة المرأة الكردية في جبهات القتال، بكيانها وتشكيلاتها وقياداتها العسكرية المستقلة عن الرجل بشكل كبير، ليس هناك أولياء عليهن في نضالهن، يقمن بالسير عشرات الكيلومترات في الليل لمواجهة «داعش» دون أن يتبعهن الرجال لحمياتهن أو حماية شرفهن!. المرأة الكردية المقاتلة إنما تهدم يوماً بعد يوم وصاية الرجل عليها، تتمثل هذه الرؤية في صورة الفتاة المقاتلة «آرين»، فهي من تدير غالبية العمليات العسكرية في «كوباني»، والرجال يتبعون تعليماتها وتوجيهاتها وعقوباتها دون أي تذمر، كيف يمكنهم أن يتذمروا وهي المقاتلة التي خاضت المعارك على عدة جبهات؟ وهنا يمكنني أن أذكر المناضلة الجزائرية «لالة فاطمة نسومر»، التي قادت المعارك وأشرفت عليها ضد الفرنسيين بشجاعة وحنكة.

علينا الانتباه إلى أن وجود المرأة في جبهات القتال ضد «داعش» يؤثر في نفسية عناصره بشكل كبير، فمقاتلو التنظيم يخشون الموت

على يد فتاة، وعدد الفتيات المقاتلات مع قوات حماية المرأة في كوباني يشكل 30 % من مجموع القوات المقاتلة.

كيف يمكن للمرأة أن تستفيد مستقبلاً من حضورها العسكري المستقل، وأركز على حضورها العسكري المستقل؟ هذا تساؤل مهم ينبغي أن تستفيد منه شريحة كبيرة من النساء السوريات، وهو درس ينبغي ألا يفقد رونقه أو أصالته.

عند انتهاء الثورات، كل الثورات، تكون المرأة في الترتيب الأخير من أولويات الثورة والدستور الجديد، وتنال في النهاية من الحقوق ما يتنازل الرجل عنه أساساً كما تقول «سيمون دي بوفوار»، والوضع في سوريا ليس بعيداً جداً عن هذه الحالة، لا بل هو أعقد من أي ثورة حدثت في التاريخ المعاصر.

يبدو أن المرأة لن تنال ما نتكلم عنه في حضور الإيديولوجيات التي تقوم على فكر الرجل وتفوّقه أساساً، وهنا يمكننا الانتقال إلى صورة كفاح المرأة الكردية، وكيف أن حضورها في تشكيلات عسكرية مجهزة بعتاد، لا يقل عدداً ونوعية عما تمتلكه تشكيلات الرجل العسكرية، وهذا يقودنا إلى أنه لا يمكن تجاهل المرأة وحقوقها في المرحلة اللاحقة للثورة، كونها تمتلك صوتاً مسلحاً وقوياً سيدافع عنها في المنابر السياسية والاجتماعية.

للمرأة منظماتها المستقلة اليوم في المناطق الكردية، تتدخل في شؤون الأسر بكل بساطة حينما تشتكي امرأة على زوجها، يتم إحضار الزوج ويحاكم، نعم في المناطق الكردية تشتكي المرأة على زوجها إن ضربها، وهذا ما أتحدث عنه كتجربة فريدة حتى بالنسبة لي أنا، لم أتصور يوماً أن تقوم مثل هذه المنظمات، وبهذه القوة التي تدفع بالرجل إلى إعادة حساباته إن أخطأ بحق زوجته!.

برأيي أن تجربة المرأة في المناطق الكردية اليوم هي التجربة الأنسب، التي يمكن اللجوء إليها لتطويرها وتعديلها إن توجب ذلك، وهي دعوة في الوقت نفسه للنساء في المناطق الأخرى لتنظم أنفسهن اجتماعياً وسياسياً وعسكرياً، فلم تعد وظيفة المرأة الوقوف خلف جبهات القتال والاكتفاء بالزغاريد لتشجيع الرجال في المعركة، المعركة التي هي معركتها كذلك، بل ربما تخوض معركتين في آن معاً، تحريرين في وقت واحد.

الحمل (٢١ آذار – ٢٠ نيسان)

فرص ونجاح على الصعيد المالي، عروض شراكات خاصة، انتبهي من اتخاذ القرارات السريعة. تحديات في العمل تتجاوزينها مع نهاية الشهر، فرصة لحب انتظرته طويلاً، تزداد علاقتك العاطفية قوة مع الشريك، والوئام يخيم على حياتك الأسرية.

الجوزاء (٢١ أيار – ٢١ حزيران)

أموال تصلك مع بداية الشهر، فرص لشراكات جيدة، اعتمدي على تجاربك وخبرتك لتقرري. تجتازين ظروفاً قاسية في العمل، ما يشعرك بالرضى، صديق قديم يفاجئك بالحب لكنك تفكرين في آخر. للمتزوجات سعادة في الحب، انتبهي من تقصير في مسؤولياتك الأسرية.

الأسد (٢٣ تموز – ٢٢ آب)

تمرين هذا الشهر بأزمة مالية، يخيب ظنك ببعض الأصدقاء، أقرب الناس يحاول استغلالك، يحمل الفلك إليك فرصاً هامة بعد منتصف الشهر. تتحسن علاقتك مع الحبيب بعد خلافات، وتخططين لبناء أسرة ناجحة، أزمة مع الزوج بسبب قصة من الماضي أو نزوة ارتكبتها.

الميزان (٢٣ أيلول – ٢٢ تشرين أول)

قرارات خاطئة تتخذينها مع بداية الشهر تؤثر على وضعك المادي، ومع منتصف الشهر يتحسن وضعك المهني، بعض مواليد الميزان تسرق الأضواء لعمل تقوم به، تبحثين عن حب حقيقي واضح. شيء من الراحة في علاقتك الزوجية خاصة في الإطار الاجتماعي.

القوس (٢٢ تشرين ثاني – ٢٠ كانون أول)

اختبار لقوة إرادتك أمام الظروف الصعبة، تنهضين من سقوط تعرضت له، مهنياً سلاحك هذا الشهر هو الصبر وليست القرارات، تحتفظين بالحبيب رغم معارضة الأهل وتنجحين بذلك، خذلان من بعض الأصدقاء لكن التزام الشريك يقدم لك الأمان،سعادة على مستوى الأسرة.

الدلو (٢٠ كانون ثاني – ١٨ شباط)

يدعمك الفلك هذا الشهر بفرص مادية جيدة، أخبار من الخارج تحسن وضعك المالي، تواجهين تحديات العمل بثقة كبيرة دون تقديم التنازلات. فرصة عاطفية مهمة تجعلك أكثر تفاؤلاً، دفاعك عن استقلاليتك يجعل الشريك يبتعد عنك، تجنبي التقصير في واجباتك الأسرية.

الثور (٢١ نيسان – ٢٠ أيار)

يدعمك الفلك لتحسين وضعك المالي، بعد عقبات تواجهك مع بداية الشهر. تحققين نجاحات كبيرة على صعيد العمل، نظمي أمورك استعداداً لفرص قادمة. تعانين من خلافات مع الحبيب، بسبب حالتك النفسية، وللمتزوجات، تبدأ حياتكن العاطفية بالتحسن.

السرطان (٢٢ حزيران – ٢٢ تموز)

يصلك مال لا تتوقعينه، ندم على فرصة تضيعينها، ترقية في العمل بفضل جهدك، يدعمك الحظ لتحقيق أهدافك، تبتعدين عن الحبيب، اعتمدي على عقلك ونفذي قناعتك، تمرين بتجربة حب من طرف واحد، للمتزوجات الشريك ينتظر منك الكثير ليعود الاستقرار إلى حياتك.

العذراء (٢٣ آب – ٢٢ أيلول)

يدعمك الفلك للحصول على أموال غير متوقعة مع أول الشهر، لكن لا تتوقعي نجاحات على الصعيد المهني، يعود الحظ ليدعمك مهنياً في نهاية الشهر، يتحول إعجاب أحدهم بك إلى حب يصل للارتباط، تكتشفين في الأسرة ملاذاً وملجأ وقت الأزمات.

العقرب (٢٣ تشرين أول – ٢١ تشرين ثاني)

أزمة مالية تسبب بعض التوتر، تتلاشى مع نهاية الشهر، تستلمين بعض المال من أحد الأقارب أو الأصدقاء في الخارج، ابتعدي عن التهور في العمل ونظمي أمورك بدون ضجيج، تضحيتك أمام الحبيب تجعله اتكالياً، اجتماع عائلي وخطوات لمساعدة أحد أفراد الأسرة.

الجدي (٢٠ كانون أول – ١٩ كانون ثاني)

تتجاوزين أخطاراً تهدد استقرارك، احذري من أوهام الحصول على الثروة بالمغامرات، واهتمي بالعروض الجدية، التحليل الدقيق للظروف يقودك للنجاح على صعيد العمل. يحملك الفلك على مشاعر ورغبات فتعيشين قصة حب فريدة، لا تدعي غريزة التملك تهدد علاقتك بالشريك.

الحوت (١٩ شباط – ٢٠ آذار)

اقتصدي بالمصاريف، حاولي السير بخططك بالتتالي، فأنت على موعد مع الثروة، الوقت مناسب لاتفاقات مهنية بعيدة عن الخضوع والتنازل، تبدئين علاقة بدافع الرغبة فقط، لكنها تتحول إلى حب. خففي من الغيرة، اتركي للشريك حرية التصرف وامنحيه الثقة.

الكلمات المتقاطعة

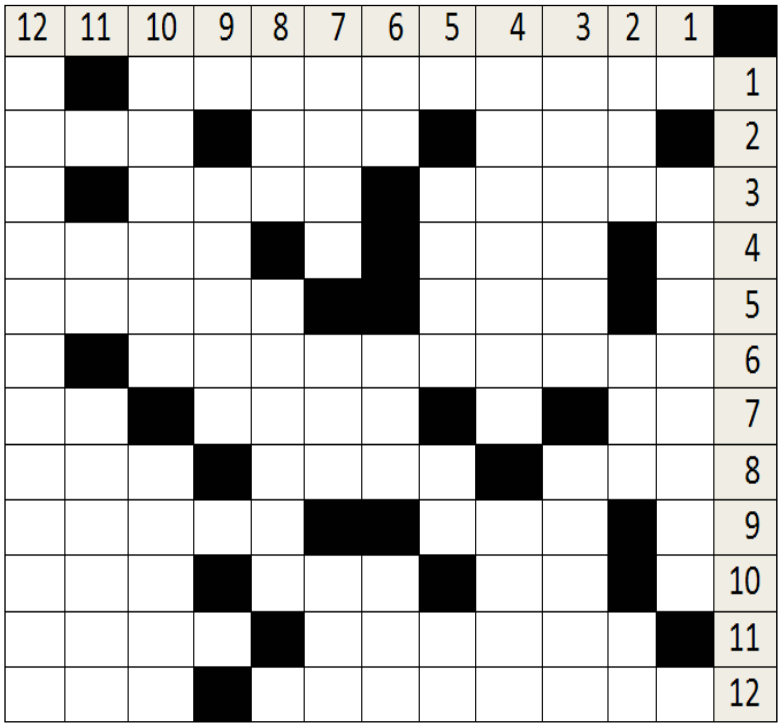

أفقي

١- منظمة سورية تدعم الأطفال والنساء في المناطق المحررة
٢- أظهر السبب- بت (معكوسة)- عكس نهار
٣- آداة للبحث في الأعماق (معكوسة)- مرتفع (معكوسة)
٤- ما تصنعه الكاميرة- عملة عربية (معكوسة)
٥- يضع خلسة- تنقل الإحساس
٦- مخرج سينمائي سوري
٧- طعم العلقم- نائي (معكوسة)- اسم موصول
٨- تسحب (معكوسة)- ضد الباطل- انساب
٩- حجر كريم (معكوسة)- حلويات (معكوسة)
١٠- سارق- موطن (معكوسة)- جوّد
١١- واضع علم التطور (معكوسة)- أبعِد (معكوسة)
١٢- ناشطة ومعارضة سورية- رقد

عامودي

١- شاعرة ومعارضة سورية
٢- اهتم- كوكب (معكوسة)- دق الجرس (معكوسة)
٣- ضد الأعمى- تزويد بالسلاح
٤- دولة عربية- أسدد
٥- مكان الرسم- أحد الوالدين
٦- مادة قاتلة- يشير- مرض
٧- بهي الطلعة- أربك وشتت (معكوسة)- صحّح (معكوسة)
٨- غادر- من أبراج الحظ
٩- دمى
١٠- نهر سوري- غاز سام
١١- آداة نداء- قبول وساطة طرف ثالث (معكوسة)
١٢- رواية لتولستوي

سودوكـــــو

سودوكو: هي لعبة منطقية مبنية على وضع الأرقام في المكان المناسب. الهدف هو ملء ال ٩*٩ مربعات بأرقام بحيث أن كل عمود وصف ومربع من المربعات التسعة (والتي تدعى مناطق) تحتوي على الأرقام من واحد إلى التسعة دون تكرار.

	5			4	7	9	6	
		6			8			
8	3			1	5			
5	1	3		9		7		6
6		4		7		5	3	9
			1	6			8	7
			7			4		
	9	7	4	8			1	

كلمة السـر

كلمة السر مؤلفة من ثلاثة عشر حرفاً: ممثلة ومعارضة سورية

أحبابنا خلف الحدود ينتظرون في أسى ولهفة مجيئنا أذرعهم مفتوحة لضمنا لشمنا قلوبهم مراجل الألم تدق في تمزق أصم تحار في عيونهم ترجف في شفاههم أسئلة عن موطن الجدود غارقة في أدمع العذاب والهوان والندم أحبابنا خلف الحدود ينتظرون حبة من قمحهم كيف حال بيتنا التريك في

و	م	م	ه	ب	و	ل	ق	ا	ن	ئ	ي	ج	م	ل
أ	ر	ع	ش	ن	ط	و	م	و	ن	ت	م	أ	ا	و
س	ا	ي	ف	ف	ل	خ	ي	ا	و	م	ف	ل	ل	ل
ئ	ج	و	ا	ع	م	د	أ	ل	ر	ز	ت	ع	ج	ه
ل	ل	ن	ه	م	ص	أ	ز	ن	ظ	ق	و	ذ	د	ف
ة	ا	ه	ه	ف	ج	ر	ت	د	ت	م	ح	ا	و	ة
ف	ل	م	م	ر	ل	ح	ت	م	ن	ن	ة	ب	د	ع
ي	ح	خ	ك	ا	ن	م	ض	ل	ي	م	ه	ح	م	ق
ت	د	ل	ي	م	ل	أ	ل	ا	ا	ن	م	ش	ل	ب
د	و	ف	ف	ا	ن	ت	ي	ب	د	و	د	ح	ل	ا
ق	د	ن	ع	ي	ف	ف	د	أ	ح	ب	ا	ب	ن	ا
ل ر	ة ك	ق ي	ر ر	ا ت	غ ل	ي ا	ا ف	ن أ	ا ذ	و ر	ه ع	ل ه	ا م	و ك
ة	ب	ح	ل	ا	ح	ف	ي	ن	و	ر	ظ	ت	ن	ي
ي	ف	م	ى	س	أ	ي	ا	ن	ب	ا	ب	ح	أ	ي

المرأة والعمل النقابي
ضرورة صيانة الحقوق وتحسين الأداء

• وجيهة عبد الرحمن

على مر التاريخ تكاثفت جهود المرأة لنيل حقوقها وإمكانية إدماجها كنوع في عملية التنمية وتمكينها من الوصول إلى مراكز القرار. ولا يخفى علينا أنَّه منذ بداية مرحلة العقد العالمي للمرأة، من بداية 1975 وصولاً إلى «مؤتمر بكين» 1996، بدأ العالم يهتم بقضية المرأة، ولم يتم تناولها من منطلق المساواة، بقدر ما تم تناولها من ناحية تنمية المرأة، وتمكينها من أداء دورها بفعالية فائقة، الأمر الذي سيمكنها من اتخاذ القرارات المناسبة في مختلف مجالات الحياة (الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية والسياسية)، وصولاً إلى المجال النقابي كحالة إدماج النساء في الحقل النقابي، وذلك عبر تنظيم حلقات تدريبية، لتسليط الضوء على هذا الجانب المهم، عبر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة.

هذا الاهتمام العالمي لا شك واكبه اهتمام الكثير من الدول والهيئات والمنظمات الدولية والإقليمية، كدليل على الاهتمام بدور المرأة والحرص على تمكينها من دورها الفعال والحقيقي، دون وجود وصاية قانونية أو شرعية، لأنَّ قلة من النساء فقط موجودات في المواقع الحقيقية والقيادية المؤثرة، سواء في النقابات أو في أي مجال آخر إن لم يكن وجودهن شبه معدوم، بالرغم من صدور إعلان منظمة العمل الدولية بشأن المبادئ والحقوق الأساسية في العمل، في جنيف عام 1998، والذي تضمن أربعة مبادئ أساسية يفترض بالدول الأعضاء في المنظمة أن تحترمها وتعززها، وأهمها البند(4) الذي ينصُّ الخاص بالقضاء على التمييز في الاستخدام أو المهنة، ويعني ذلك القضاء على التمييز ضد المرأة. وبناء عليه جاء الإعلان العالمي للحقوق الأساسية في العمل، بعد سلسلة من المبادئ والإعلانات والمواثيق الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان بشكل عام، والمرأة بشكل خاص، حتى إنَّه عرف بـ «إعلان حقوق المرأة»، لأنَّه تضمن مواد هامة تكفل المساواة الحقيقية بين الرجل والمرأة، وخاصة في مسائل العمل وتطبيقاته وميادينه المتعددة.

إقصاء المرأة عن النقابات

من خلال ما تمَّ سرده نستطيع القول إن الصورة باتت أوضح حول أهمية ضمان حق المرأة من خلال عملها المؤسساتي(النقابي)، ففي الوقت الذي نجد فيه تتوجه أنظار الحركات النسوية إلى المشاركة في العمل السياسي، ودخول المعارك الانتخابية، نصادف في المقابل جبهة نسائية أخرى استسلمت لمصيرها، بسبب إهمالها وعدم تحصينها بالاهتمام الكافي والرعاية المستمرة، هذا الجانب هو العمل النقابي الذي يتم تغييب النساء عنه بهدف توظيفه لمصالح شخصية وحزبية.

وقد عمدت بعض الأطراف إلى إقصاء النساء عن هذا العمل الحيوي، الذي يعبر عن المطالب العادلة للعاملات والعاملين على حد سواء، ويعزو بعض المهتمين بالشأن النقابي للمرأة هذا الإقصاء، إلى أن المؤسسات النسوية من جمعيات واتحادات، ورغم أنها توجهت في برامجها للمرأة العاملة، إلا أنَّ هذا التوجه بقي ضمن إطاره النظري، دون تجسيده عبر الأنشطة والآليات، فلم يتم توجيه العضوات العاملات في المؤسسات النسوية للانتساب إلى النقابات في أطرها المتخصصة، وممارسة أنشطتها بشكل منهجي ومخطط لتحقيق مطالبهن النقابية.

من جملة الأسباب أيضاً أنَّ ضعف مشاركة المرأة في الحياة النقابية مرتبط بعوامل ذاتية تتعلق بالمرأة، كتأثير الحياة المهنية على المشاركة النقابية، وضعف نسبة القوى العاملة النسائية الرسمية في سوق العمل المحلي الرسمي. وهناك العوامل الموضوعية للإقصاء، وهي ما تعكسه هذه النقابة أو تلك، من جانب الهيكلية وتهميش النساء، والخشية من المضايقات من قبل أصحاب العمل، وتأثير المجتمع فيما يتعلق بالمهام الاجتماعية والعائلية وتقسيم الأدوار، وغياب الديمقراطية المتمثلة في الانتخابات وتداول السلطة.

ولن نغفل انعدام الاهتمام الجدي من قبل قطاع نسوي واسع، بالانضمام إلى النقابات وإدراك أهميتها في الدفاع عن حقوقهن، وتعزيز مكانتهن في المجتمع، وكذلك سطوة العادات والتقاليد في المجتمعات الشرقية، واعتبار مهمتها تنتهي في المنزل. على أن النقابات بدورها أهملت المشاركة النسائية، ولم تقدم للنساء أي حافز لتحريضهن للمشاركة، بل عملت دائماً على تكريس عامل الإقصاء، معللة ذلك بانخفاض نسبة النساء، وعدم رغبتهن في المشاركة بالعمل النقابي.

جملة من الأسباب لها الأثر البالغ من الأضرار التي لحقت بالنساء، جراء غيابهن وإقصائهن عن العمل النقابي، الأمر الذي أسقط قضايا المرأة من برامج النقابات، وهذا بدوره أفقد العمل النقابي زخماً وفعالية في القطاع النسوي، الذي يعاني التمييز الحقوقي والمالي ويتم استغلاله، وخاصة في القطاع غير المنظم، كالعاملات في التمريض والسكرتارية والزراعة، وخادمات البيوت، والكثيرات ممن يتعاقدن بعقود غير قانونية.

غياب المرأة يؤدي إلى تضرر المجتمع، الذي يبدأ الضرر فيه من الأسرة، انتهاء بالهيئات القيادية التي تصنع قرارات المجتمع، لأنَّ المجتمع ينظر نظرة دونية للمشاركة النسائية في العمل النقابي، وقد ساهم في تكريس هذه النظرة ما تلعبه النقابات بهذا الصدد من دور منغلق ومنغمس في العمل الإداري، فلم تعمد إلى بلورة حركة اجتماعية ضاغطة وحقيقية للدفاع عن حقوق النساء العاملات.

المرأة مساهمة في الإقصاء

لاشك أن المرأة تتحمل جزءاً كبيراً من مسؤولية غيابها عن العمل النقابي، أخص بالذكر هنا الحركة النسوية، لأنها لم تعمل على التنسيق مع المؤسسة النقابية للوصول إلى نقطة التقاء، كما والمجتمع مسؤول أيضاً، فالحركة النسوية لم تطلب من النساء الانتساب إلى النقابات على أساس برنامجها القطاعي المطلبي، وضرورة التشبيك والتنسيق مع هذه النقابات لدعمها ورعاية مصالحها، ثم إن الحركة النسوية لم تعمل على تثقيف كوادرها بأهمية العمل النقابي، لتحسين وضعها وتحقيق مكاسبها على أساس إنجازات لها علاقة بقوانين العمل بالتلازم مع حقوقها.

ولن يخفى علينا أن التشكيلات النقابية هي عبارة عن مجموعة كتل حزبية، وهي الأخرى عملت على تهميش المرأة، والآراء حول ذلك لاتزال متضاربة، فالبعض حمَّل النقابات ذاتها كامل مسؤولية تهميش المرأة وتغييبها عن العمل النقابي، لأنها لم تعمل على تفعيل الدور النسوي في النقابات، مع إشارتها إلى أن ذلك لايعفي الحركة النسوية التي تقاعست عن إيلاء العمل النقابي أهمية، وهذا مؤشر سلبي لأنه لا يشجع النساء على دخول المعترك النقابي الذي يمهد للمشاركة السياسية، بالإضافة إلى التشكيك بقدراتها والانتقاص من مكانتها معللة ذلك بنقص المؤهلات والكفاءة.

إن إطلاق مثل هذه الأحكام هو جزء من تنميط الرؤى والأفكار والذرائع دون العودة إلى الأسباب والتحليلات التي تمكننا من الفهم الموضوعي لمجمل الأسباب.

وأشير هنا إلى أنه بحكم التجربة والملاحظة نجد أن النساء العاملات قادرات على الانخراط في العمل النقابي في حال توفر بيئة داعمة لهن، وهذا ما يتطلب إحداث نوع من التوازن الجندري في الهياكل النقابية.

المطلوب لتفعيل دور المرأة نقابياً

- تثقيف وتوعية المرأة والتدريب للنساء العاملات.
- تعريف النساء بحقوقهن النقابية، وضرورة مشاركتهن في العمل النقابي.
- تفعيل مشاركة المرأة في العمل النقابي لخلق قيادات نقابية جماهيرية قادرة على التأثير.
- إصدار قوانين وتشريعات عادلة تصون حرية التنظيم النقابي للعاملات والعمال دون تمييز.
- زيادة دور المرأة في تطبيق التشريعات العمالية وتعديلها الذي يتطلب زيادة دورها في الحياة العامة.
- زيادة تمثيلها في المواقع القيادية في المنظمات العمالية والنقابية.
- ضرورة التوجه لإجراء انتخابات في مجمل النقابات، بموجب حملة تنسيب للمرأة العاملة والمهنية ودفعها للترشح لعضوية الهيئات.

في النهاية علينا القول إن تحقيق هذه الأهداف ليس مسؤولية المرأة وحدها، بل مسؤولية مجتمع كامل، بما فيه منظمات المجتمع المدني والمنظمات النسائية والسياسية، لكن تظل مسؤولية النقابات والاتحادات العمالية هي العامل الأهم في تعزيز ثقة المرأة بنفسها لدخول المعترك النقابي.

كيف نعزز قطاع الدعم النفسي؟

• أميرة الجركس

في ظل ظروف الحرب القاسية التي تعيشها بلادنا، ونقص إمكانات الدعم النفسي والداعمين، لابد من الإشارة إلى الداعمين النفسيين والأفراد المعيلين لأسرهم ممن يقومون برعايه الأسر المتضررة، وضرورة دعمهم، لأنهم وتحت وطأة ضغوط العمل والإرهاق ووظروف المعيشة القاسية التي فرضت عليهم قد ينهارون أو يتعرضون للشدة النفسية. وجميعنا يتذكر منظر المسعف يوم جريمة الكيماوي في دمشق، كيف انهار باكياً ولم يستطع تمالك نفسه ومتابعة قيامه بعمله.

سمر، إحدى المتخصصات بالدعم النفسي، والتي لها باع طويل في هذا المجال، تقول إنها خسرت وظيفة تقدمت بها لإحدى المنظمات العاملة بالدعم النفسي، وذلك «بسبب دموعي التي لم أستطع منعها عند مشاهدتي لأبناء بلدي في المخيم»، تداعت لحظتها إثر مشاهد ذلهم وما آلت إليه حالهم.

تضيف سمر «نحن بشر وننفعل وتغلبنا عواطفنا في لحظات ضعفنا»، تضيف: «كان يجب علي أن أكون أقوى لحظتها، لكني كنت أعاني أيضاً من ضغوط مختلفة، ولم أكن مهتمة بنفسي فقط، كنت داعمه لعائلتي ولآخرين، ونسيت دعمي لذاتي». وترى سمر أننا جميعنا بحاجة للدعم النفسي، «جميع الشعب السوري بحاجة للدعم أطفالاً ونساء ورجالاً. نعيش ظروفاً قاسية استثنائية».

أما أبو مصطفى، وهو اللاجئ الذي يعيش في مخيم قريب من بلدته المحاذية للحدود السورية، فيحكي قصته لكل من يصادفه ليس من باب الثرثرة، ولكن ليفرغ ما ناء صدره بحمله. تعرض منزله لبرميل متفجر، خسر ثلاثة من أطفاله يومها وخسرت زوجته قدمها.

خسر أخته التي كانت تقيم بمنزله حينها، واثنين من أبنائها، وتركت له ثلاثة أطفال. كما أدى انهيار منزله المجاور لمنزل أخيه الذي تضرر أيضاً إلى استشهاد زوجة أخيه وابنه وأنقذت طفلته بأعجوبة.

وأثناء إسعاف من تبقى من هذه العوائل الثلاثة، تعرضوا لقذيفة وهم في طريقهم إلى المشفى، استشهدت زوجته وزوج أخته، وأصيبت ابنته إصابة بالغة، تم إسعافها ونقلها لمخيم اللجوء القريب من الحدود.

يقول أبو مصطفى: «سبعة أطفال، اثنان منهم معاقان وأخي غير المبالي، الذي يعيش معنا ولكنه لايهتم ولايتكلم ولايعمل، يبقى جالساً ليل نهار، غير آبه لا بأطفاله ولا بي»، ويضيف: «لم نخبر أطفالي بموت والدتهم، وهذا مايزيد همي، فهم مازالوا بانتظارها. لم يتح لي الوقت لأحزن على من استشهد، دخلت دوامة ولا أستطيع الخروج منها، تأمين طعام وعلاج وإدارة الأطفال والمنزل، أطفال وخيمة صغيرة بلا سيدة تدير شؤوننا، وسط صراخ الأطفال وشجارهم وتلبية طلباتهم».

«تصرخ ابنتي وينك يا أمي.. ولا أعلم ماذا أجيبها».

وأشار أبو مصطفى إلى أن «الأطفال يذهبون إلى مركز الدعم النفسي مرتين في الأسبوع، ليعودوا بعدها لطلباتهم وشجارهم وصراخهم»، ويتابع حديثه حول هول مصيبته قائلاً: «مشاهد الموت، وبيتنا الذي تكوم حجارة قاسية على أجساد أطفالي، الصراخ، مازال كل ذلك حاضراً، أتناساها أحياناً، لكنها تمنعني من النوم أو الراحة في أغلب الأحيان».

أبو مصطفى واحد من الداعمين الذين يحتاجون للدعم النفسي الجاد بالتوازي مع باقي أفراد أسرته، ليستمر في العناية بهم، حيث يعاني من اضطراب نفسي وعصبي.

حول احتياجات الداعم

رنيم، شابة اختارت العمل التطوعي بعد الأحداث المؤلمة التي تعرضت لها بلدتها، تقول: «في البداية كنت أعاني من نوبات قلق وحزن وتوتر وعدم قدرة على النوم كانت الكوابيس تلاحقني كل ما أغمضت عيني، وذلك بعد كل حادثة تفجير، كان ذلك يستمر فترة طويلة، إلى أن أصابني الوهن والاكتئاب، واتجهت إلى اختصاصي نفسي. وبعد فترة خضعت لعدة دورات تدريبية

منها دورة في الاسعاف النفسي، طبقت ما تعلمته على نفسي، تعلمت كيف أدعم ذاتي، والآن وكلما أحسست بحزن أو ضيق آخذ قسطاً من الراحة، أتجه للاسترخاء والتأمل، أتجه لاصدقائي، أتحاور معهم ونناقش سوية الأعراض التي تنتابنا ونتبادل الخبرات، نقدر ونثني على مانقوم به، نرفه عن أنفسنا، نتبادل الأحاديث البعيدة عن جو الحرب نلقي النكات، نستشعر المستقبل، ندعم بعضنا، نتقاسم العمل فيما بيننا نعمل كفريق بقلب واحد.

يحتاج الداعم إلى أصدقاء يقضي معهم بعض الوقت، يتبادل معهم أطراف الحديث، يشاركهم الخبرات ويساند بعضهم بعضاً، كما يحتاج للقيام بنزهة أو فترة استرخاء أو القيام بنشاط جسدي ممتع، ويجلب له شعوراً بالسعادة.

كما أن الداعم بحاجة لأن يفكر بذاته وبتحقيق أحلامه، وآماله ومشاعره، أن يعيد ترتيب أولياته، أن يقوم ببعض الأنشطة الروحية التي يرتاح عند القيام بها، وذلك ليعزز ما لديه من تفاؤل وأمل، ولا يضيره أن يتذكر ما أوصتنا به الديانات من فوائد الصبر والامتحان والعطاء.

في الخلاصة، نحن أيضاً يتوجب علينا تشجيع الداعمين لزيارة مكاتب الاستشارات وأخذ النصائح، وأن نساعد في كسر الحاجز الاجتماعي الموجود لديهم تجاه مفاهيم كالعلاج النفسي، والدعم النفسي وغيرها. كما يتوجب على المنظمات والهيئات العاملة بشؤون التازحين والمتضررين الاهتمام بدعم الكبار والداعمين بالتوازي مع دعم الأطفال والنساء، لدرء الهوة التي تحدث عند دعم شريحة من المجتمع دون الأخرى، عسى أن يتجاوز الشعب السوري محنته منتصراً.

المهرّبين والـ«لا مَهرَب»

• وجدان ناصيف

كان يتحدث بكليّة جسده الضخم، يداه وعيناه وحتى تواتر اهتزاز ركبتيه يوحي بأن وراء خشونة يديه وألفاظه رجل مقهور وخائف.

– «أنا شخص سيء.. لا أستحق زيارتكم. ولا حتى (الحمد الله على السلامة) أستحقها..!»

قريبنا هذا قاطَعَنا منذ ثلاث سنوات، لأننا اختلفنا معه بالرأي.. بعضنا يعتبر الاختلاف بالرأي إهانة موجهة ضده شخصياً!

يكمل حديثه بدون أن يوقف اهتزاز ركبتيه ولو للحظة:

«كنت أظن أني أدافع عن قريتي.. لكني ما عدت أريد ذلك. أنا أيضاً أستطيع الجلوس في بيتي ومشاهدة ما يحدث من بعيد..».

تبدو الجملة الأخيرة غير جديدة على مستمعيه، فهو منذ سنتين يعتبر سلوكه كمرابط على حدود البلدة ضد الأعداء سلوكاً نبيلاً، فيما جلوس الآخرين ورفضهم لحمل السلاح هو سلوك شائن.!

– «يلزمنا مصح نفسي جماعي».. تهمس صديقتي في أذني.

«كنت على وشك الموت.. عبرت الطلقة على بعد مليمترات من رأسي.. الله ستر!».. يُمسك رأسه بكلتا يديه كأنه يعيش تلك اللحظات المرعبة من جديد، ثم يتمالك نفسه ويتابع:

«كذب.. كل ما قالوه لنا كذب في كذب.. تكتشف فجأة أنك مجرد حجر شطرنج بين أيديهم، لا إرادة لك ولا قيمة، يضحّون بك في حركة استباقية فاشلة للاعب فاشل، بدون أية حسابات لوجودك الإنساني».

«.. أعدت لهم البدلة العسكرية والسلاح وكل شيء، ما عدت أرغب بدور الحارس (لأنه ما بعرف مين عم أحرس)، ولم أعد أريد أن أطلق الرصاص (لأنه ما بعرف على مين عم قوص). كل الوقت نلبي نداءاتهم لحماية حدود القرية، نفزع من كل الاتجاهات، بثياب نومنا أحياناً.. (معليش) قريتنا يعني عرضنا وشرفنا ويجب أن نموت لأجلهما.. لكن هذه المرة رأينا شيئاً مختلفاً، اتصلنا بالجهات الرسمية وقلنا لهم هناك شيء يريدون تهريبه إلى داخل المدينة، قد يكون سلاحاً أو قد تكون سيّارة مفخخة لا سمح الله.. شيء مختلف عن كل مرة.. بدأ كل منا يتخيل حجم الكارثة التي يمكن أن تحصل في المدينة المزدحمة.. انتظرنا الرد والمساندة.. انتظرنا بدون جدوى..».

«منذ سنتين ونحن نعمل معهم.. كلما أرادوا التغطية على تهريب بضاعة ما، يطلقون رصاصاً خطاطاً فتلتمع السماء بألوان حمراء متفرقة. تنطلق الرصاصات المخططة في اتجاه محدد، وبعدها تتجمع بعض السيارات وتحدث جلبة غير مفهومة، وينقطع التيار الكهربائي في المنطقة، فنعرف أنها مجرد (تهريبة).. غالباً ما يسبق ذلك فقدان لأحد المواد التموينية المهمة في المحافظة، ثم في اليوم التالي يمتلئ السوق بالمادة المفقودة، لكن بسعر عالٍ جداً هذه المرة. عادة تكون هذه المواد أساسية جداً والدولة مسؤولة عن توزيعها، لكنها تصبح بقدرة قادر في اليوم التالي على الأرصفة. يبيعها لصوص حروب وتجار دم.. عند بوابة المحافظة الشمالية يتواجد العديد من بائعي المازوت المهرب والغاز، ويقومون ببيعها بأسعار باهظة وتحت حماية رجال الأمن، بينما يفتقدها الناس في القرى القريبة الأخرى... طيب كيف أقوم بحمايتهم وتأمين تغطية لعمليات تهريبهم ليلاً، وهم يقومون في اليوم التالي بسرقة ما تبقى في جيبي وفي جيوب إخوتي؟ لطالما سألت نفسي هذا السؤال، وعدت في اليوم التالي لأقول في نفسي بأن العرض والشرف أهم من هذه التفاصيل».

«لكن في النهاية طلعوا كلهم متفقين على شيء واحد هو (التهريب). يبدو لي أن كل شيء منذ البداية، بدءاً بقصة العصابات المسلحة، المتطرفين، الإرهابيين، الخاطفين، المؤامرة، داعش والطائفية.. كل هذه الكلمات جاءت لتغطي على كلمة وحيدة هي (التهّريب)»، «هي ملء جيوب رجال مافيات لن يشبعوا من دمنا، ولو أنهم استطاعوا بيع عظام من في القبور لفعلوا.. يهرّبون كل شيء ممكن أن تتخيلوه: محروقات، سلاح، مخدرات، آثار وبشر... كل شي».

«مبارح (فقعت معي).. أحسست بأن (التهّريبة) هذه المرة ليست مثل كل مرّة وقررت أن أخالف الأوامر وأطلق النار.. قررت أن لا أقبل بدخول الموت إلى أهلي، لكني بالكاد أطلقت رصاصة حتى فوجئت بالرصاص يندفع إلى زاويتي من كل الاتجاهات. طلعنا عم نحرسهن وبعدين يقوصونا..!».

يسكت الرجل فجأة وتلمع دمعة في عينه.. لا يكمل الحكاية ولا أحد سيكملها، لأن تكملة الحكاية هي الحكاية بحدّ ذاتها والجميع يعرف ذلك.. «لكن ما الجدوى؟».

يعيد جمله الأخيرة ويكررها، بدون أن يلحقها بأي جملة جديدة:

«لما رفضت الأوامر وقررت أن أطلق النار على السّيارة التي تجاوزت الحاجز (ومعروف أنها تحمل سلاحاً فتاكاً لجهة ما).. أطلقوا عليّ النار وكدت أموت. كدت أموت من أجل ليرات أحدهم».

– «يبدو الشغلة بدها تعزيل».. تقول امرأة تستمع للحكاية.

– «كان لازم نعزل من زمان».

يدور حديث عن «التعزيل» متناسين مشكلة عدم توفر المياه.!

– «كل الآفات والأمراض والأوبئة دخلت منازلنا لأن الجو لاءمها».

– سننتظر يوماً مشمساً.

– «التعزيل» يتطلب أيد نظيفة.

ينظرون إلى أيديهم ويتفحصونها.. وإلى الساعة.. هل ما زال هناك متسع من الوقت؟

شطرنج

• جورجيت حنا

لم يقف الفن السوري عموماً منذ انطلاقة الثورة وصرختها الأولى في درعا، في الظّل، بل وعلى العكس تماماً انتفضَ مثلَ أيّ سوري آمنَ بالحراك الشعبي مطالباً بالحرية والعدالة، ورافضاً جميع أنواع التسلط العسكري وآلة القمع الأمنية. إذ أخذت الفنونُ حيزاً واسعاً وحضوراً كثيفاً يسلط الضوء على أكثر المساحات عتمةً ليكشفَ كنهَ الاستبدادِ وتماديه، وعمقَ الإنسان «المجازف» الذي يشهر أصابعه فقط، في وجه الرصاص والموت. فكانَ إضافةً لثورة الأدبِ المقروء من قصص وروايات وشعر، ثورة أخرى حملت عبء الصعودِ بألم السوريين وأحلامهم، منابرَ مرئيّة تضعُ العالمَ أجمعَ أمامَ حقيقةَ ما يجري برمزيةٍ ساخرة أحياناً، وجادةٍ موجعةٍ أحياناً أخرى، تمرأت على الشاشاتِ الصغيرة كأفلامٍ سينمائيةٍ قصيرة، ذات غاياتٍ وطنيةٍ متمدنة.

«الملك لا يموت»:

فيلمٌ سينمائيٌّ قصير، يروي قصة حقيقية حدثت في إحدى المعتقلات السورية. قصة شابٍ روائي كان ضحيةَ كتاباته التي عرّت حقيقةَ النظام الحاكم وجبروته، فقضى خلفَ القضبانِ أسيراً كنتيجةٍ حتمية لأيَ وقوفٍ ثوري رافض في وجه السلطة.

يجسدُ الفيلم مفاصلَ هامة في شخصيتين رئيسيتين: الأولى، هي السجين صاحب الشخصية القوية المتمردة، بتكوينها الإيجابي وفلسفتها الرافضة للخضوع... السجين الذي اتخذ قرارَ المواجهة، منذ بدأ الكتابة وأشهرَ صوته في وجه المحتل، دونَ أدنى حسابٍ للعواقب، المعروفة سلفاً، في دولةٍ تحكمها شريعة المسدس. هكذا يبقى على موقفه الواحد والذي يزدادُ رفضاً وتمسكاً بمبادئه ومفاتيح قضيته كلما غالى السجانُ في التسلط والسلطة.

أما الثانية، فهي السجّان، بطبيعته المركبة التي لا تقبل الجدل أو الحوار، الكائنُ المعبّأ بجُملٍ حتمية ومفهوم مكتمل لن يقبلَ، مطلقاً، تسويةً تعيدُ ترتيبَ أو تغييرَ صياغته، جملٍ يترجمها أفعالاً وواقعاً، دونَ أدنى حيّزٍ من التفكّر، لتأخذَ المشاهدَ لبيئته (أي السجان)، وربما لتدخله بيته أيضاً فتطرحَ تساؤلاتٍ عن حجم السلطة الماثلة بالمسدس أسفلَ خاصرته، وبوجهه المتجهم وصراخه الذي لن يكف، وبمقارنة بسيطة عن دور كل تلكَ الامتيازاتِ الوهم، في ارتداءِ الوحش وخلعِ الإنسان.

يبدأ الفيلم بينما يلعب كلٌ من السجان والسجين لعبة «الشطرنج»، وخلالها يطلب السجين من الأخير تنفيذَ وعده بأن يحضرَ له عدداً من الأوراق للكتابة، فيشترط السجّان أن يروي السجين حكايةً للطفل الذي وُلِدَ في الزنزانةِ المجاورة، من أمّ تقضي أسرها في ذاتِ المعتقل، وفي هذه الأثناء بينما يتابعانِ اللعبة، يُطلق السجين جملة ترتعدُ لها فرائس السجان:

«انتبه.. الملك كش!!»

ليقفَ الأخيرُ غاضباً ويقودَ السجين للزنزانةِ المجاورة لتنفيذِ الشرط، فيدخلها ويبدأ حكايته للطفل بقوله:

«كان في عصفور.. كان في سما.. إلخ» فيقاطعهُ الطفل المولود في المعتقل، كما أشرنا، بأسئلةٍ غريبة:

ـ ما هو العصفور؟

ـ ماهي السماء؟

وينتهي كل شيء بأن يطلبَ الطفل من السجان أن يرى العصافيرَ والسماء، ليصرخَ الأخيرُ بكامل سلطته:

«مافي شي اسمه سما.. مافي شي اسمه كش ملك.. الملك ما بيموت!!»

فيعود السجين إلى زنزانته، ويضرب الملكَ المفترض من على رقعةِ الشطرنج بيده... ليترنّحَ ساقطاً.

بقراءةٍ أو مشاهدة جادةٍ ومسؤولة للفيلم، لابدّ أن نقفَ كثيراً على مفاصلَ مهمة تمرأت كمقولاتٍ وإسقاطاتٍ سياسية واضحة، أراد لها صنّاعُ الفيلم أن تكونَ أذرعاً توجه أصابع الكشفِ لعينِ الحقيقة، فتعري ما يُخفي الواقعُ المشوّهُ من لبْسٍ، الواقع الذي فصّل عباءتهُ وحاكها

أسيادهُ الطغاة بما يناسب سلطتهم الزور ويضمن بقاءهم المشروط بعصب الأعين وتعميتها عن أيّ فضح يهددُ سلامةَ سلطانهم.

حيثُ يتعرض الفيلم في مشهده الأول للعبة الشطرنج التي يمارسها كل من السجين والسجان، ولكن بمفهوم مختلف، الأول المعتقل الذي يستطيعُ، دائماً، تَهديدَ (الملك) المفترض، في كلّ فرصة سانحة دونَ مهابة أو خوف بإشارة تبدو واضحة على قدرة الإنسان الحر على تقويض مملكة الطاغية، وإن كانَ يرزحُ تحت وطء القيد، وما طلبُ الأوراق إلا كسر صارخ لجدار الصمت المفروض بقوة السلاح والتنكيل. أما ثانياً، فهو السجّان، أو المُعتقل، والذي بدوره يدفعُ بجميع الجنود والحاشية (من وزراءَ وقلاعَ وحرّاس) كي ينأى ما استطاعَ بالملك بعيداً كلما حدّقَ خطرٌ، محافظاً بذلك، إضافةً على حياة الملك، على سلطته التي ستزولُ حتماً بزوال الأول، ولذا كان من الطبيعي جداً أن ترتعدَ فرائسَ السجان ويفقدَ توازنه كلما خاطبه السجين:

«انتبه.. الملك كش !!».

من جهة أخرى، أكثرُ المشاهد تساؤلاً وربما جدلاً، تلكَ التي تتعرضُ للطفل الذي لا يعرف شيئاً عن الأجنحة والطيور والسماء، كنتيجة منطقية لولادته داخلَ السجن، وهنا لابدّ من الإشارة لإسقاطين رئيسيين:

آ . يمثلُ هذا الطفل، من وجهة نظر الكاتب، شريحةً واسعةً من السوريين الذينَ وجدوا أنفسهم في سجنٍ واسع لا تحيطه جدرانٌ أو نوافذ، سجنٌ بحجم إرادةِ السجّان في تغييب العقول عن أيّ مفردة تشي بالحرية أو العدالة، فكانوا، كما أُريدَ لهم، أداةً طيعةً في أيدي الجهل والقبول وأخص (السياسي).

وما إن سمعَ (الطفل) بكلمات تشير إلى الحرية، حتى راحَ يصرخ في وجه السجان مطالباً بحريته المتمثلة بالطيور والسماء والأجنحة، بإشارة صريحة أيضاً لدور المثقف الواعي في تحريض المجتمع الفاترِ بمفرداتٍ بسيطة لها دلالاتها العميقة.

ب . ردة فعل السجّان «الممثل الصريح للطاغية»، إثرَ سماعه، وللمرة الأولى، ألفاظاً قد تهددُ سلطته وبالتالي سلطة الملك، فراحَ يصرخُ بعباراتٍ كانَ قد حفظها سلفاً ودون عناء:

«مافي شي اسمه سما.. مافي شي اسمه كش ملك!!»

ليذهبَ السجينُ أخيراً، وكنهاية فذّة للفيلم، إلى زنزانته، ويزيحَ الملكَ بيده، كدلالة على قوة الفعل مهما كانَ الحصارُ واثقاً.

ولا بدّ أخيراً من الإشارة للشكل الفني الذي خرجَ به الفيلم، حيثُ استطاعَ صنّاعه تحقيقَ أكمل الشروط السينمائية من حيثُ الإعداد، الإضاءة وموقع التصوير، وصولاً للتمثيل والإخراج، كاسرينَ بذلك الشكلَ الفقير الذي خرجت به معظم الأفلام القصيرة، التي كانت وستبقى جميعها منبراً ومرآةً تعكس روح الحقيقة وتكشف عن أنيابَ القاتل.

هنـــاء إدور

• فريق تحرير سيدة سوريا

عراقية ومناضلة يسارية، ناشطة في مجال حقوق إنسان ومدافعة عن حقوق المرأة وسكرتيرة جميعة الأمل، إحدى منظمات المجتمع المدني في العراق. مثلّت في نهاية الستينات وبداية السبعينات من القرن الماضي رابطة المرأة العراقية في الهيئة التنفيذية لاتحاد النساء العالمي مع «نزيهة الدليمي» التي كانت أول وزيرة في تاريخ العراق والوطن العربي.

ولدت هناء في البصرة في جنوب العراق، تم اعتقالها بعد الانقلاب البعثي الأول عام 1963. هربت إلى الشمال لتتحصن في جبال كردستان العراق عام 1979. وبعد خمس سنوات من الكفاح المسلح ضد النظام ضمن الحزب الشيوعي انتقلت إلى دمشق لتعمل كمدير تنفيذي لأكبر مجلة يسارية عربية وهي مجلة «النهج»، وفي نفس الوقت عملت كعضو في الهيئة الإدارية لمؤسسة «المدى» الإعلامية. وهي إحدى الخبيرات التي تعتمدها المنظمة العالمية لحقوق الإنسان وأسست جمعية الأمل في عام 1992.

اشتهرت في وسائل الإعلام بعد تحديها لنوري المالكي وتوزيعها بوسترات مطالبة بتحسين وضع حقوق الإنسان والمرأة في العراق، ورد نواب البرلمان العراقي للرواتب التي استلموها قبل تشكيل الحكومة، لأنهم لم يقوموا بأي عمل يستأهلون عليه المال.

حائزة على جائزة مكتب السلام العالمي شون ماكبرايد في عام 2011. كما حصلت هناء أدورد على لقب «المرأة العربية الأولى» لعام 2013 عن جهودها المدنية للمرأة العراقية.

تحسب لهناء مشاركتها في أكثر من نشاط نسوي عراقي وعربي ودولي، وعرض تجربتها وخبراتها على الجميع، كما تعتبر واحدة من أهم النساء العربيات الفاعلات.

هذا الرحيل «أثقل من رضوى»

• سامر مختار

رحلت الكاتبة الروائية المصرية رضوى عاشور(1964) عن عالمنا منذ أيام قليلة (30 نوفمبر 2014) تاركة أثراً بليغاً داخل نفوس وقلوب كل من حولها. قائمة الأحباب لا تنتهي، بدءاً من الحبيب ورفيق الدرب والزوج الشاعر الفلسطيني «مريد البرغوثي»، والابن الشاعر الشاب «تميم البرغوثي»، مروراً بصديقتها الكاتبة المصرية «أهداف سويف»، والقائمة لا تنتهي، من أصدقاء، زملاء، أساتذة جامعة، طلاب وطالبات جامعة. رضوى التي اجتمعت بشخصيتها صفات نادراً ما تجتمع في شخص واحد، الكاتبة الروائية، المناضلة، أستاذة الجامعة، الأنثى والأم. ويبدو أن الحال كما جاء على لسانها في (ثلاثية غرناطة) حين قالت: «تبدو المصائب كبيرة تقبض الروح ثم يأتي ماهو أعتى، وأشد فيصغر ما بدا كبيراً وينكمش متقلصاً في زاوية من القلب والحشا». ويبدو أن رحيل رضوى هو الذي كان أعتى وأشد، هو الذي كان فعلاً ما عنونت به كتابها الأخير «أثقل من رضوى»!

لم تخيب رضوى ظن قرائها بها، ولم تخن رضوى ماخطه قلمها، ومانطقه لسانها على مدى تاريخ حياتها، لم تخن قضايا كثيرة آمنت بها، لم تخيب ظنها بنفسها كإنسانة ناضلت من أجل حياة يكون فيها الإنسان له قيمة. وجاء كتابها الأخير «أثقل من رضوى» ليكمل مابدأته الكاتبة الشابة لمسيرة أرهقت كاهلها لكنها لم تتوقف، منذ صدور كتاب «الرحلة: أيام طالبة في أمريكا» (1983) الذي يعتبر سيرة ذاتية أولى، وهو عن الفترة التي قضتها في أمريكا أثناء دراستها الأدب الأفريقي الأمريكي من جامعة «ماساشوستس» بالولايات المتحدة حيث حصلت على الدكتوراه بالأدب عن نفس التخصص في عام 1975 إذا قالت رضوى «عندما غادرت طفولتي، وفتحت المنديل المعقود الذي تركته لي أمي وعمتي، وجدت بداخله هزيمتهما، بكيت، ولكني بعد بكاء وتفكير أيضاً ألقيت بالمنديل وسرت، كنت غاضبة». عدت للكتابة عندما اصطدمت بالسؤال: (ماذا لو أن الموت داهمني؟) ساعتها قررت أني سأكتب كي أترك شيئًا في منديلي المعقود، وأيضاً لأنني تنبهت، وكنت في الرابعة والثلاثين من عمري، أن القبول بالنسبي أكثر حكمة من التعلق بالمطلق، وأن الوقت حان للتحرر من ذلك الشعور بأن عليَّ أن آتي بما لم يأتِ به الأوائل أو أدير ظهري خوفًا وكبرياءً».

وفي العودة إلى الختام، ختام التجربة في كتاب «أثقل من رضوى» والمقصود من العنوان كما جاء في الكتاب هو جبل يقع بالقرب من المدينة المنورة «تضرب به العرب المثل في الرسوخ فتقول (أثقل من رضوى) لأن الجبل في واقع الأمر، سلسلة من الجبال الممتدة إلى الشرق من يَنْبُع، بها جداول ماء وشعاب وأودية، ووعول وغزلان، تُحلّق في أرجائها النسور والصقور والقَطا والحمام»، تسرد من خلاله رضوى عاشور مقتطفات من سيرتها الذاتية من جانب، ومن جانب آخر تتراوح فصول الكتاب مابين يوميات، ومذكرات، وكأن هذا المزج بين ثلاثة أنواع من الكتابة في كتاب واحد يشبه طبيعة المرحلة الأخيرة التي عاشتها الكاتبة في الفترة الأخيرة، أي منذ بداية رحلتها العلاجية في أمريكا التي سبقت «ثورة 25 يناير» 2011 بفترة قصيرة، وتزامناً مع انطلاق المظاهرات في تونس. يسبق هذين الحدثين، حدثان آخران كان لهما الأثر على رضوى وهما وفاة أخيها

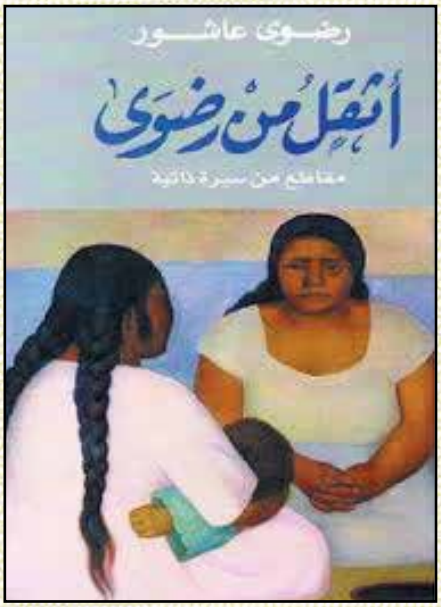

الأكبر «طارق»، ومن ثم وفاة والدتها. كل هذا المفاجآت التي نصبتها الحياة للكاتبة كانت بالنسبة للكاتبة عصية على الفهم، وهي التي تقول في الفصل الخامس من الكتاب، والذي جاء بعنوان (تونس.. إذا الشعب يوماً): «لا أفهم الصُّدَف. أتأملها وأفشل في فهمها. ولا أعني الصدفة كظاهرة، بل تصادف تواريخ أمرين ذالّين، أو تصادف حدوث أمر حزين مع آخر

سعيد (أو العكس) في اليوم نفسه من ذات السنة أو بعدها بسنوات، كأن أفقد والدي يوم عيد زواجي، وأن يتعرّض صديقنا رسام الكاريكاتور ناجي العلي للاغتيال في التاريخ نفسه، وأن يرحل طارق في يوم ميلاده السابع والستين. كل منها صدفة لا أفهمها». ورغم أن هذه المصادفات التي باتت محط تأمل الكاتبة، إلا أنها تحاشت الفصل بين تفاصيل وأحداث تحدث على الصعيد الشخصي، وأحداث كبيرة تحدث في تلك البلاد التي جاءت منها، وإلى حدث هام، تاريخ نضالها كله كان من أجل هذا الحدث الذي قد يكون بداية لتغيير ما»، تصادف إذن أن أكون في مسرح العمليات بين أيدي جراحَيْن يُعملان مشارطهما ومعارفهما في رأسي، وتونس تشتعل بعد أن أحرق البوعزيزي نفسه. لا علاقة بين الأمرين، ولكنني أربط بينهما بسبب التاريخ، ولأن كلاً من الحدثين يخضُّني بشكل مباشر، ويؤثر في فعل الحياة وشكل استمرارها.»

حالة من القلق رافقت رحلة رضوى إلى العلاج، وجعلتها معلقة مابين مصير حياتها، ومصير بلدها التي اشتعلت به الثورة. مصيران يتصارعان، ليأخذ واحد منها الحيز الأكبر من مساحة الهواجس والتفكير، والتنبأ باللحظة القادمة « أويت إلى فراشي بسؤال جديد. هل ينتهي الأمر بعد يوم أو يومين من الإحتجاج، على طريقة حريق القاهرة في 26 يناير 52 أو هبّة 77 ؟ (وهنا تقصد الكاتبة الإنتفاضة الشعبية في 18، 19 / 1977/1) لا بد من الانتظار للغد. ليلة أخرى من النوم المتقطع. بعدها صباح الخير وكوب القهوة، والأخبار. المظاهرات مستمرة. هل هي فعلاً ثورة ؟ يارب «

في التوازي مع سرد تفاصيل رحلة العلاج، ومن بعدها فرد فصول كاملة تسرد فيها الكاتبة يوميات عاشتها فور وصولها القاهرة، وماتلاها من أحداث ثورة 25 يناير. إلا أنها تفرد بعض المساحات من الكتاب لتحكي عن تجربتها في الجامعة، إذ أن رضوى عاشور أستاذ بكلية الآداب جامعة عين شمس، وانتخبت من زملائها مقررة للجنة العلمية الدائمة لترقية أساتذة اللغة الإنجليزية وآدابها في أقسام اللغة الإنجليزية وآدابها في الجامعات المصرية من العام 2001 إلى العام 2008. وهي التي أشرفت على عشرات الرسائل الجامعية المقدمة لنيل الماجستير والدكتوراة، وقيمت عشرات الأبحاث المقدمة للحصول على درجة الأستاذية. وهي من المؤسسين لحركة 9 مارس لاستقلال الجامعات.

أما قصة الحب التي جمعت رضوى بالشاعر والأديب الفلسطيني مريد البرغوثي تجعلنا نحلق بعيداً خارج دفتي الكتاب الأخير، إلى حياة رجل وإمرأة لم يتوقف حبها رغم هذا الفراق الأخير. تقول رضوى أن أول مرة تلتقي فيها مريد كان على سلم جامعة القاهرة، حيث كان يلقى على أصدقائه أحد قصائده، فانتبهت له وشعرت بكلماته تخترقها، حيث أنها كانت تكتب الشعر أيامها، ولكن بعد أن سمعت قصائد مريد، تركت الشعر، لأن الشعر أحق بأهله وذويه، حسب تعبيرها. وقد مرّت هذه العلاقة بالكثير من الصعوبات، كانت بدايتها في رفض والد رضوى لمريد في بداية تقدمه لها للزواج، لكن وافق بعدما التقى به، ووجد بداخله كل هذا الحب والمسئولية تجاه ابنته ويعلق مريد على ذلك : «طوال عمري منذ أن تعرفنا وإلى الأبد لم أشعر بأي لوم أو عتب على موقفهم تجاهي». لكن

الصعوبات اشتدت حين أعلن مريد اعتراضه على زيارة السادات إسرائيل، وبسبب هذا الموقف تم منع مريد البرغوثي من دخول مصر لمدة 17 عامًا، وليخرج مريد من مصر تزامناً مع ولادة ابنهما الشاعر تميم البرغوثي. وفي تلك الفترة الصعبة كتبت رضوى ذات مرة تعبر عن مرارة الشوق، تخاطب فيها مريد : وكم مرة يامريد افترقنا ؟، وكم مرة سوف نلتقي ؟ وتلك الغصة في الحلق ساعة يمضي واحدنا إلى داخل المنطقة الجمركية ليجلس متجاهلاً ذلك الثقل المتزايد بأسفل المعدة في انتظار الإعلان عن موعد الطائرة. ولماذا كل مرة نفترق أو نلتقي فيها تبقى صورتك هكذا حاضرة التفاصيل، مشيتك، لفتة رأسك، قصة شعرك، نظرة عينيك الصغيرتين من وراء زجاجة نظارتك ورموشك، حتى شكل حذائك ولون جوربك ؟».

أما مريد فقط كتب قصيدة بعنوان «رضوى» ونشرت في أوائل السبعينات نشرت على ثلاث أجزاء في مجلة «الكاتب»، وكتبت وقتها الكاتبة لطيفة الزيات مقدمة للقصيدة قالت فيها: «إننا قرأنا في الشعر القديم قصائد غزل لكننا لم نقرأ قصائد حب»، وعلق مريد على ذلك: «الناس تظن أن الكلام العسلي اللطيف (المعسول) يساوي شاعر حب، الكلام الحلو لوحدوا ما يعملش ما نسميه الشعر».

ونختم في وداع رضوى عاشور مقطع من قصيدة مريد:

كما يدخل الماء جوف الصخور
بقريتنا في فصول الشتاء
يشق له ألف درب بباطن أعلى الجبال
ويخلد فيها كالثعلبة ترقب
ويصغى لوقع خطى المزارعين
وشق المحاريث للارض عاما فعاما
ويخرج نهراً ونبعاً ونافورة تسكب
ويهتف كالطفل:
ها قد أتيت، تعالوا اشربوا
فيشرب منه اليمام وأهل القرى
وقوافل ضلت، وسنجابة تلعب
وتنغمر الارض بالبرتقال
وتحمرّ فيها الورود، وتنضج كل الثمار الوليدة
كذلك حبك يدخلني
ويشرق وجه القصيدة.

أحدث صديقتي الجالسة بجواري الآن

• لونا العبد الله

السبت2014/5/24 من وراء القضبان

أريد أن أكتب لأطفال دمشق.. أيكفيني الكلام لأولئك الملائكة الصّغار؟! أعوامٌ لم تفرّقنا يدُ القدر.. يد دمشق كانت أقوى.. بعض الألم يُغرى به.. ليس هذا النوع على أي حال.. في قلب كل أمّ جزءٌ لا يملكه سوى ذاك الكائن الخارج من أحشائها.. من رحم ذكريات لم يعرفها.. من صرخة للحياة تنذر بالمستقبل.. وحضن يجبر كسر التحام داخلي فقد أواصره مرغماً ملتحفاً كذبة «سنّة الحياة»..عمرٌ لا تختزله كلمةٌ ولو كانت مقدّسةً.. لا تكفيه صلاةٌ ولو كانت بمحراب الأنبياء.. لا يحتويه مكانٌ ولو كان فردوساً.. وحدة القلب النابض به يلملم أشتاته ويعيد تجميع أجزائه المبعثرة.. ويرسم في أخاديد جراحه وجه طفل باسم ودمعة حنين تروي نبضه ضحكة من شفاهكم تملأ معجم مفرداتي بكلمات لم أدركها سابقاً.. لمسةٌ منكم تجعل قصائدي ملأى بمعان لم أشعرها قبلاً.. كلمةٌ لكم تُخرس كلَّ اللغات وتهبني لغةً جديدة لم أتكلّمها قبل وجودكم.. أسألُ نفسي الآن.. أنّ الكتابة لكم عملٌ غيرُ منجَز.. صلاةٌ دونَ طُهر.. الكتابة لكم في مسافة اغتراب تجعلني مسافراً دون زاد، يسير حافي القدمين فوق أشواكِ شوقٍ ملاحقاً سرابَ واحةٍ خضراء.

الإثنين2014/5/26– من وراء القضبان

أكتب للفرح الغائبِ في قلبي.. لوجهِ حبيبٍ يُشبه مدينتي الغائرة بالقدم.. كأبجديّة نطقتها بعد صرخة الحياةَ الأولى.. أكتب لك أنت.. من وراء القضبان.. لا أعلم كيف للحروف أن تتراصّ لتخبرَكَ عنّي.. عن تلك الغائبة المتوارية عن أنظاري حين هربي إليك منهم وآثرت اختيارك علي.. أنت الذي تُشبه شموخَ المآذن إذ تعانق الأرواحَ الهائمة.. كأخاديدٍ حفرتْها يدُ الزمن بإتقانٍ بجوار بسمتي.. تسكن في حوافّها لتذكّرني –أنا التي لم أنسَ– بك.. أحملُ سلاحي في وجه الوقت الممتدّ على طول المسافة الواصلة إليك.. فأبدو كمحاربٍ دنكشوتيّ يثيرُ سخرية من لا يفقهُ شيئاً عن الحبّ في زمن الحرب.. أخسر جولة وأربح أخرى.. وأنتظر بفارغ الأمل معركتي الأخيرة.. أكتب لك أنت.. لأخبرك عن مواعيدَ مؤجّلة للنصر وقضيّة جمعتْني بك.. لتجعلَ عطر الجعة الملأى بفوارغ الرّصاص أجملَ من رائحة الآرماني الخاصّ بكَ.. وتجعلَ خيوطَ عرقٍ تمسحه عن جبينٍ يحترف الكرامة ألذّ من قبلة خدّك.. وغباراً امتلأتْ يداك به أدفأ من صدرك المتّسع لي..

الأربعاء2014/6/19– من وراء القضبان

أكتب لك أنت.. أنت المجنّد منذ أعوام لقضيّة لا تعرف الهزيمة.. لوطنٍ لا يعرف الاغتراب.. يا رجل الغد المرتقب.. لا تنهزمْ بي ..فأنا بِك أشتمّ رائحة الحريّة من هنا..

أكتب لأمّ لا تعرف لليأس مسافةً ولو كانت 30 سم بين شباكٍ حديديّة وأخرى تفصلني عنها.. أكتب لك يا من تحدّيْتِ قهرَ المدينة وطرقاتها المقطوعة وأتيتِ لتخبريني كم أنت فخورة بي.. وجهك الآن لا يشبه باقي الأمّهات.. لا يشبه القمر أو الشّمس.. لا يشبه الإنسَ في شيء.. وجهك يا ملاكي يشبهك فقط.. وأنت لا شبيه لك.. كشجرةِ زيتونٍ عتيقة.. يمتدّ عطرُك في مسافاتِ الحنين فيملؤها.. يتسرّبُ من تحت القضبان فيعيدُ النّبض لقلبٍ يحترفُ الألم.. أتخلى الآن عن كلّ كبريائي أمام يدين كانتا أرجوحتي يوماً، فأركع لهما وأصلّي صلاتي في محرابهما.. أمامك فقط سيّدتي أضعُ أسلحتي جانباً وأعترف أنني مجردُ طفلة تحتاج صدرَكِ لتروي ظمأ شهورٍ من الحرمان منك.. أمامك فقط يا مدينتي.. أشعر بسورِ المدينة المغلق في وجهي وتنتزعني من ذاتي أصوات الأقفالِ الموصدة عليّ.. أستحلفك بي ألا تأتي لزيارتي بعد الآن.. فوحدكِ القادرة على جعل محاربٍ صامدٍ أمام ظلم العابثين بكرامته طفلاً لا حول له ولا قوة..

• أيمن سليمان

هذا بياضك

لا أدري كيف وجدتني وبيدي علبة ماء، والغريب أنني كنت في نفس الوقت أبحث عنيَّ في ضوء بعيد جداً، فتأخذني خطواتي إلى حشد من الناس في فناء دارنا، بعضهم أعرفهم جيداً، والبعض الآخر لا أعرفه.. منهم أموات ومنهم أحياء، فصرت أتأمل أيديهم المحترقة وهي تتحضر لحمل جنازتي بكفن من ملح..

نسيت عمَّا كنت أبحث.. ورحت أفتّش عن وجه أمي بين وجوه مودّعي جنازتي، قلّبت كل الوجوه تلك الواقفة عند الحطب، المتجمعة عند التنور، والجالسة بتعب عند الجنازة..

تحسست علبة الماء التي بيدي، فوجدت نفسي فجأة عند ضفة نهر جاف يبعد قليلاً عن المقبرة، يشبه نهراً أعرفه لكني لا أتذكر اسمه، عندها امتدَّت يد أنثى لها حضور النخيل، ورائحة الزعتر البرّيّ، وفي أحد أصابعها خاتم عليه رسم كنيسة، فأمسكت بيدي وأفرغنا ماء العلبة على عطش النهر..

حركت أصابعي بارتخاء..

فقالت لي:

– إلى أين..؟

–ألحقُ الجنازة.

– ومالك بها؟

– أبحث عنيَّ... عن وجه أمي!

فوضعت يدها الأخرى على قلبي وقالت:

– هذا بياضك.. هذه روحك.

– والجنازة؟

– روحك المزيفة.

– والسائرون وراءها؟

– كذلك هي أرواح مزيفة..

التفت لأرى وجهها جيداً، فضغطتْ بأصابعها الدافئة على أصابعي المرتخية، لتتبرعم من بين أصابعنا شمعة بيضاء، عندها تلون شعرها الأسود بلون أخضر ندي، ارتعش جسدي، التقت عيوننا كضوء حزين، تنفسنا نفساً واحداً عميقاً، ثم بكينا دمعاً كحب الرمان..

استفقت..

وأنا أبحث عن أمي في الدار، وفي حلقي صدى للبكاء.

«فرح»

«إني خلقتكِ ثم انتميت إليكِ»
ممدوح عدوان

يعبرني صوت أمي...

– الدرب طويل... يا ولدي.

– يا أمي: منجل المواسم خانته بيادر الجفاف.

يورق قلب أمي بالدعاء، فيغيب الصوت، ويتراءى ضوء لا يلتفت إلى الوراء يحدّق بي بعيون كثيرة بلهاء، لكنه يحمل في تلاوينه حزناً عميقاً، أتسلق ذاكرتي وأجلس على أكثر أغصانها دفئاً ثم أمسك أوراق اغترابي من غابة البكاء، هذا ما تملكه أناملي يراودني الحلم ماسحاً مخاط الأيام الممطرة...

«مزنة.. مزنة»

– انتظرتك طويلاً يا «فرح»

– كنا سنلتقي... مازلت بذات القلب

– تعالي إذاً نرقص..

– لكنّ الدرب طويل..

– الروح حالمة بالطيران يا «فرح»

– لكنهم شوهوا ذاكرتي

– شوَّهوا أنفسهم.... ليذهبوا للريح

يغيب الحلم، فتأتي التفاصيل بغتة تنزوي في الظل وتمارس دور الجمر من عمق... لتحضر الأزقة المزدانة بعبث الطفولة ومنظر الأرصفة وهي تحمل جوع اليتامى وعناوين المشردين... والحقيقة كما هي.. درب ملّته الأقدام، والغبار لم يترك بصمة حذاء واحد للعودة، وعندما يندى الوقت ابتداء الحنين، أبحث في منفى القلب عن ضفة هادئة، أسترق السمع إليك وأنت تغنين من شرفة الحلم الفائت، عن خطى العابرين خلسة درب العمر.. وهم يلمون من حوافه رسائل العشق والخيبة والقهر... تغنين حتى يخضّر الحنين بكاءً

تفتح «فرح» قلبها ليطير الحمام..

فيرتسم مشهد اتكاء الغرباء على باب الحلم

يلملم المنتظر حنينه....

ليعود الصوت من ضفة الماضي:

– يا بني.... حليب الأم تراب.

في المكان الهادئ

• علي الأعرج

لم يعش حياة مضطربة، لذا، لم يؤمن يوماً بقول الشاعر: «كنْ أنتَ». يوم شتوي، لا غربان تُشئِمُ الوقت، ولا غيمَ داكنٌ يخفي الأفق. كل شيء هادئٌ، مثل أرواح موتى قضوا نحبهم يشتمّون الزنبق، ويستحمّون بماء تقليديّ. كل شيء هادئٌ.. منزلٌ صغيرٌ بأثاث عتيق، منهك من الوحدة كأصحابه، لا موتَ فيه إلا إذا أراد الأنام الموهّمون بالخرافة أن يرتّلوا مقدّسات الريح في تفاصيل اليأس.. مثلاً:

أن يقف الوالدُ، وهو القريب من الستين ومن الموت ذاكرةً، على الشرفة الضيقة فجراً، يرتشفُ قهوة الصباح ويشعر بقليل من الانتعاش والنعاس الخفيف بين الأهداب، يدمدمُ لحناً جنائزياً، مُتمعناً في الأطيان المُتجمّدة، ويُحصي علاماتِ الخطو الجريح لأقدام إناثٍ عبرنَ قبل ليلةٍ من هناك.

أو أن تشتم الأمُّ المشوّهة في الوجه بنصل الجدّ، كل الفتيات المُتغنّجات عهراً، بنهودهنَّ الصغيرة وأردافهنَّ الطريّة، وهي تقطّع الخضار، لتصنع الحساء كطعام لأيتام الموتى.. ولتطهو جلود ضحايا الحرب القادمة في تفاصيل الغبارِ الصحراوي.

أو أن يقرأ الأخ المُصاب بسرطان الكبد، لأنه لم يأكل البصل المجفف، قصص الجسد المُثار، لكُتّاب يئسوا من شهرة الماء، فأتقنوا مهنة السرد وألّفوا المتون الفصيحة كمقدّسات، ورتّبوا طقوس تدرّجات الشهوة، ليذرف المُسرطنُ منيهُ على أغلفةٍ لا تنفعُ سوى أن تكون ملصقات جدرانٍ للملحدين.

كل شيء هادئ، والجميع يتأمّلُ باندهاش السحرة كيف أنّ السماء بغرت، من نوافذ المنزل، فتوسّد الرابع أريكةً مُغبرّة، كُسرت في يمينها، لأنّ الأب نكح الأم عليها ذات يوم، عندما قررا أن يأتيا بثمرة مني صالحة، فقال الرابع الصغير للثلاثة، وهو يُتبّع الرئة:

– يئست من انتصارات الكتب، ومن كل هذا الصمت الطاغي كأحلام ديكتاتور، يئست من حبيبة أصبحت مومساً لدى سادة الوطن، لتحميني من موت يترصّد بي كلما جاهرت بنزقي. أشعر بكامل القرف، وبثقل الريح عليّ، وبأنّ الإله منشغلٌ بتبرئة نفسه أمام البشريين الذين لا يملكون وقتاً إلا لحسد الإله على عزلته. سأذهب، وقد أعود يوماً مُحمّلاً بالانكسار أو بقليل من الزئبق في الدم.. لا أعلمُ كيف سأكون، لكنّ كذبةَ التاريخ تؤرقني.

لم يلتفت أحد إلى كُلّ ما قيل، فالجميع مُولّهٌ بانسدال الماء من الغيم الداكن. نهض الرابع، ارتدى معطفاً، حمل حقيبةً، وغادر.

صباحاً استيقظ، فلم يعرف أين هو أو ماذا يفعل في هذا المكان الغريب عنه.. شرب قهوةً سريعةً في المكان الغريب، ومرّن الحنجرة على الصياح، كان مكاناً هادئاً كمنزله، لكنه أكثر رأفة وحنيناً للحلم، صور معلّقةٌ، طلاسم حالمين على الجدران، ثياب مبعثرة، شرائط شعرٍ كثيرة، ربطات عنق، ورائحة دم غامض غير مرئي.

هبط المنزلَ الغريب إلى الشارعِ، والتقى الغرباء الذين يشبهونه بلمعة العيون، كان يشعر بكل الفوضى، وبرائحة الأجساد المتعرقة من رعب الأحلام المنبثقة، وسمع كل الأبدان المرتطمة في الأرض موتاً.

لم يطل به حال الصدمة، فهرب من ولع الأرض بالموتى، أسرع في الأزقة، وخفّف وطأة المسير في الشوارع الرئيسية، لكنّ الخطوات بقيت تلاحق ظلّه.. صعد بناءً، مُسرعاً إلى حتفه الاختياري، كان ينبض بالندم وبشجاعة المصير.. وفي العلو، كان قريباً من السماء، رمى بجسده كأنه طائرٌ لا يتقن فنّ النجاة.. ولأنّ الجاذبية أقوى من حلمه، سقط نحو الأرض، فمات.

ليلاً، حُمّل جثماناً إلى منزله، لا صلابة فيه، فهشاشة العظام رغبته. حدّق الثلاثة في منزله إليه، تهامسوا في موته، وقرؤوا عليه بعضاً من آيات الرحمن، وتركوه مسجّى على بلاطه، فالسماء مازالت تبغث.

حقوق الإنسان
HUMAN RIGHTS
اللأمن
القمع

More than 3940 schools
in Syria have been destroyed
which has resulted
in 2 million children
being left without education
Yara

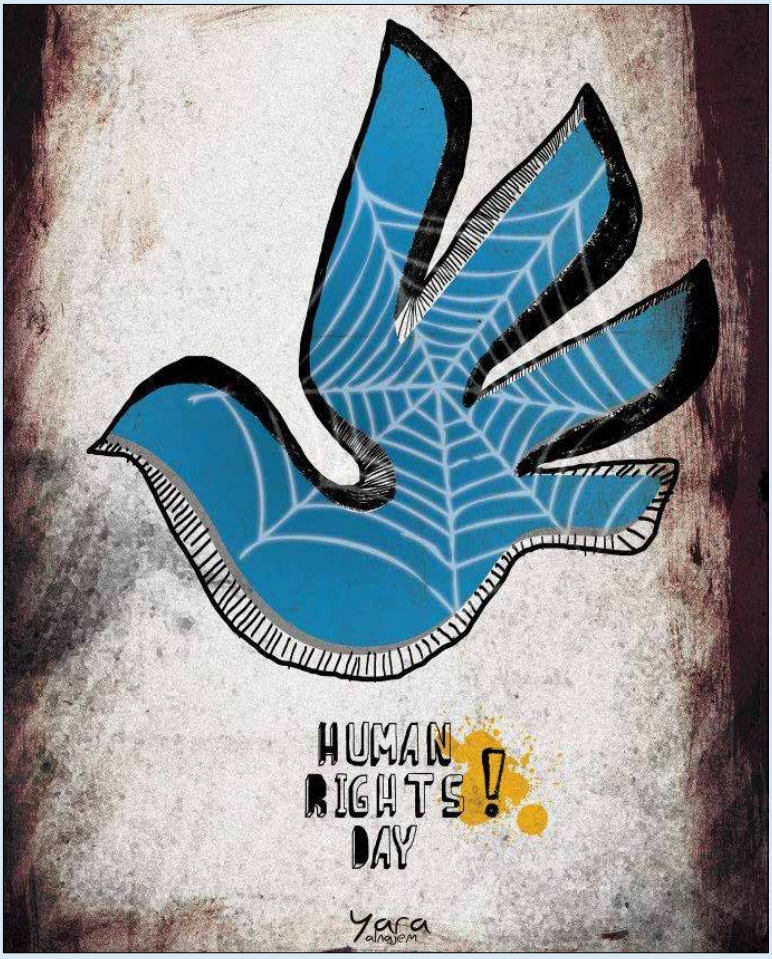
HUMAN
RIGHTS !
DAY
Yara
alnajem

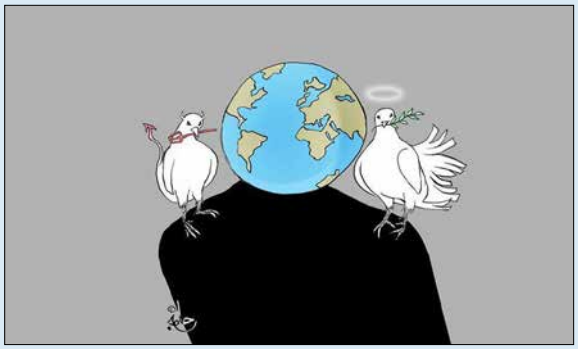

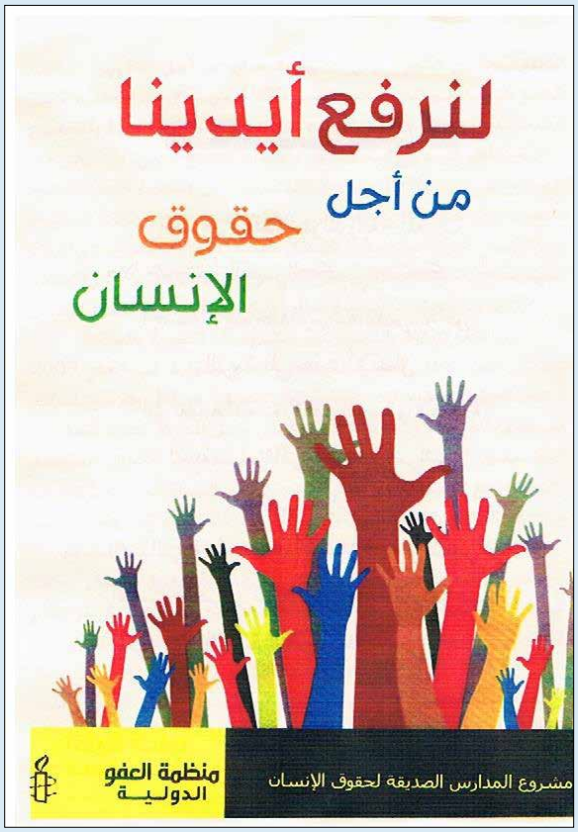
لنرفع أيدينا
من أجل
حقوق
الإنسان
منظمة العفو الدولية
مشروع المدارس الصديقة لحقوق الإنسان

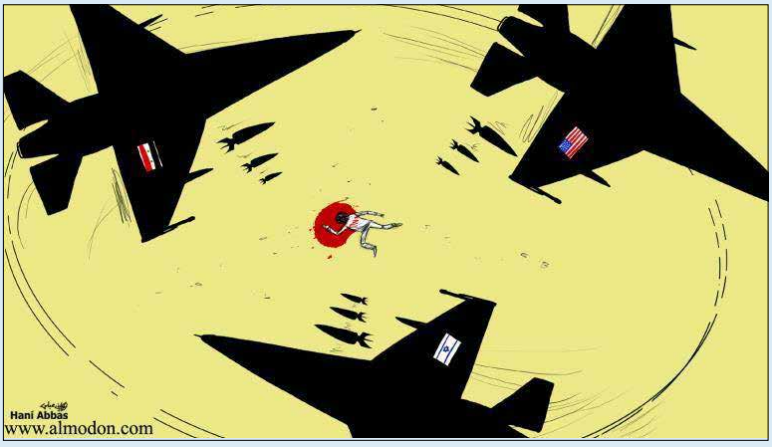
Hani Abbas
www.almodon.com

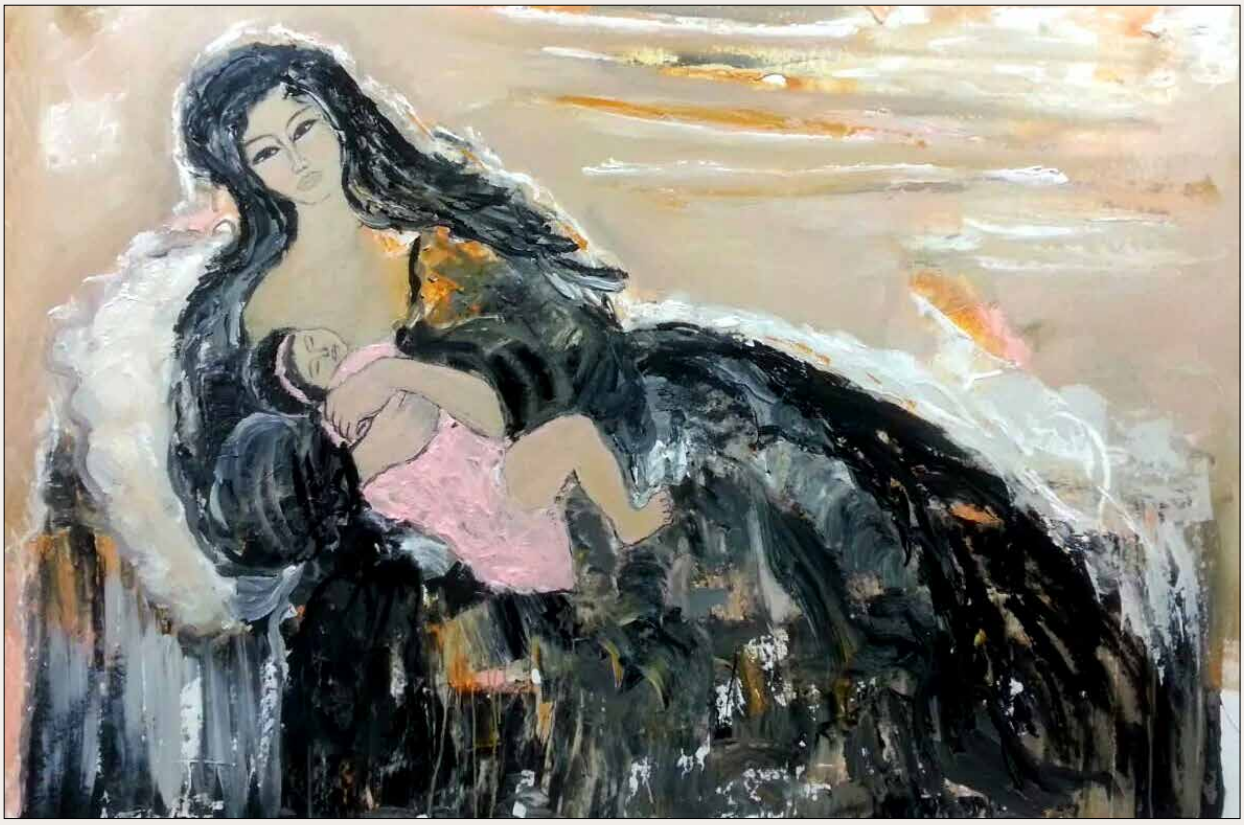

عملان للتشكيلية رلى حمزة